أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٧ أ، ص ص ٧٣-١٢٢، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

الشواهد من الشريعة والعمارة
في اهتداء المسلمين إلى القبلة الأولى حيث ضل عنها اليهود والنصارى

فرحات خورشيد الطاشكندي

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: لقد كان ولازال للقبلة مكانة عظيمة عند المسلمين فهي الجهة التي تتوجه إليها وجوههم عند الصلاة وكانت سبب الخلاف بين أهل الكتاب حيث يقول الله عز وجل ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾[١، سورة البقرة، آية ١٤٥] ولقد كانت الكعبة أول بيت وضع للناس كما ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز واتى ذكرها في السنة المشرفة في اكثر من موضع وأُمِر الناس بالتوجه إليها في صلواتهم والحج إليها ومع مرور الزمن ضعف هذا الالتزام وبقى من بقى على القبلة وضل عنها من ضل حتى زمن فتح مكة عندما أعلنها صراحة رسول الله ﷺ . أما الذين ضلوا عن القبلة فاتخذوا اتجاهات متعددة للقبلة فالمعابد الوثنية التي تأوي الأصنام لم تهتم كثيراً بالاتجاه فتارة شرقية وتارة غربية وتارة إلى الشمال وهكذا، أما اليهود فاتخذوا المغرب قبلة والنصارى اتخذوا المشرق و لم أجد أي دليل أو إشارة بأن اليهود والنصارى مأمورون بالتوجه إلى الغرب أو إلى الشرق ولا أراها إلا بدعة ابتدعوها فلا يوجد في التوراة وليس في كتب الأناجيل ما يؤيد دعواهم. أن تَوجُه المصلي له أهمية خاصة في العبادات لذلك تعددت القبلة بتعدد مفهوم الديانات وفي هذا يقدم البحث شواهد من القرآن والسنة النبوية المطهرة في عدم اهتداء اليهود والنصارى للقبلة وتوفيق الله للمسلمين في معرفتها تأكيداً لحديث عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ يعني في أهل الكتاب "انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله أليها وضلوا عنها وعن القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الأمام آمين"، وهذا الحديث رواه الأمام احمد عن عائشة مرفوعاً.[٢، ص٢٣٥] كما يناقش البحث بالشواهد المعمارية عدم وجود فكرة القبلة عند الأمم السابقة بدءً باليونان ومروراً بالمسيحية واليهودية واختصاص المسلمين بالقبلة والتي هي الكعبة المشرفة بيت الله وهو أول بيت وضع للعبادة في الأرض ويتضمن البحث تعريف معنى القبلة بشكل عام، قبلة المسلمين، قبلة اليهود، قبلة النصارى، تحريف النصارى واليهود للقبلة، اشهر المعابد الوثنية وفكرة القبلة فيها، اشهر الكنائس وفكرة القبلة فيها، اشهر البيع/الصلوات ومفهوم القبلة فيها، اشهر المساجد واتجاهاتها نحو القبلة، كما يستعرض البحث أقوال المسيح عليه السلام من إنجيل برنابا في القبلة كما يناقش البحث أن من خصائص الأمة الإسلامية أن جعلت لها الأرض مسجداً وطهور وهذا ما لم يوجد في الأمم السابقة ويستدل بذلك بشواهد من الحديث الشريف ومن اقدم كتاب مقدس عند أهل الكتاب وهو ما يدعم به البحث في تحريف اليهود والنصارى للقبلة، ولا سيما عندما نتأكد أن القبلة الأولى والأصلية هي الكعبة يتضح لنا أن اليهود والنصارى ضلوا عن القبلة التي صلى إليها جميع الأنبياء من بنى إسرائيل وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المقدمة

أن التقرير بأن بيت المقدس أول قبلة هو ما يحاول المستشرقون إثباته وتأكيده ولكي ينفوا عن أهل الكتاب انهم ضلوا عن معرفة القبلة (الأولى) وهي الكعبة والذي أعاد بناؤه خليل الله إبراهيم عليه السلام. وفي جامع النقول في أسباب النزول لابن خليفة ص ١٤٦ قال ابن زيد : كانت اليهود قد استحسنت صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس وقالوا : ما اهتدى إلا بنا. يقول المستشرق غولد تسيهر والذي كتب جملة من الأباطيل والمغالطات عن الإسلام في الموسوعة اليهودية ما نصه: "أن محمداً جعل بيت المقدس قبلة في الصلاة أولاً ليكسب مودة اليهود ومساندتهم له في المدينة وعندما لم يحصل على تأييدهم حول القبلة متجهاً إلى البيت الحرام في مكة".[٣] فهو لم يذكر أن محمداً ﷺ كانت قبلته الأولى إلى الكعبة أصلاً ثم أمره الله عز وجل بالتحول لبيت المقدس كما سيأتي مناقشة هذه القضية لاحقاً وليوهم أن القبلة الأولى كانت أصلا إلى بيت المقدس، وكذلك كتب الدكتور جبرائيل سليمان صبور بالجامعة الأمريكية في بيروت محقق كتاب فضائل القدس لابن الجوزي: ولكني لا أرى بداً من الملاحظة أن القدس وقد كانت القبلة الأولى في الإسلام وكان مسجدها الذي تم الإسراء إليه. [٤، ص١١] ومقولة الدكتور هذه ليست جديدة فلقد قالها من قبل اليهود قبل ١٤٠٠عام. وفي شرح الآية ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٥٠] اجمع المفسرون على أن معنى الآية هو إبطال حجة أهل الكتاب وحجة غيرهم ممن كانوا يرون المسلمين يتوجهون إلى قبلة اليهود فيميلون إلى الاقتناع بما يذيعه اليهود من فضل دينهم على دين محمد وأصالة قبلتهم ومن ثم منهجهم.

لذلك فإن التقرير بان بيت المقدس هو أولى القبلتين عند المسلمين ليس صحيحاً وذلك لان القبلة (الأولى) الأصلية هي الكعبة للأدلة الكثيرة من القرآن والسنة فمن القرآن ﴿أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ [١، سورة آل عمران، آية ٩٦] ومن السنة قوله ﷺ لأبي ذر في سؤاله عن أول مسجد وضع على الأرض فقال ﷺ: "المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت وكم بينهما قال أربعون عاما ثم قال فأين ادركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه" رواه البخاري ومسلم والنسائي [٥] والقول بأن القدس أولى القبلتين أتى من بعض المفسرين في تأريخ استقباله ﷺ للكعبة وهو يصلى بين الركنين قبل الهجرة بزمن قليل وكان ﷺ يستقبل الكعبة وبيت المقدس في آن واحد وذلك بعد أن أُوحى إليه باستقبال بيت المقدس، أو من الذين أرخوا ذلك من الهجرة النبوية و لم يحاولوا استقصاء قبلته ﷺ قبل فرض الصلاة وبعدها.

وحديث عائشة رضي الله عنها قول رسول الله صلى ا لله عليه وآله وسلم في أهل الكتاب: انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها وعن القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الأمام آمين. رواه الأمام أحمد [٦] وفي معنى الحديث أن الكعبة هي القبلة الأولى، وكون الكعبة هي قبلة إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء من بني إسرائيل موسى وعيسى صلوات الله عليهما ﴿ووصى بها

إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٣٢] فبالضرورة أنها تكون أيضا قبلتهما فمتى تم تحول أهل الكتاب عن قبلة أبي الأنبياء من بنى إسرائيل إلى بيت المقدس أو إلى المشرق أو المغرب؟ ومتى حدث ذلك؟ ولماذا يحسدون هذه الأمة التي اهتدت إلى القبلة كما في حديث رسول الله ﷺ ولو أن القبلة الأولى هي بيت المقدس لما كان لحديث رسول الله ﷺ فائدة ومعنى؟ ولما حسدنا أهل الكتاب على شيء إذا كانت قبلتهم هي بيت المقدس ولو كانت قبلتهم بيت المقدس لما وصفهم الله عز وجل بأنهم يتوجهون نحو المشرق والمغرب ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٧٧] والتعارض واضح بين مفهوم الآية الكريمة وقول القائل بان القبلة قبل أن يتحول إليها رسول الله ﷺ هي بيت المقدس. ويحاول البحث أن يرد على الأسئلة ويقرر بالأدلة أن تحول المسلمين في القبلة كان بأمر إلاهي مرتين، مرة تحول من الكعبة إلى بيت المقدس (المسجد الأقصى) ثم تحول من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة والذي هو بيت الله وأول بيت وضع على الأرض للعبادة.

و لم تكن الكعبة في يوم من الأيام تأوي المصلين ولكن كان يطاف حولها وهو من أنواع الصلاة وكان يتوجه إليها في الصلاة بينما بيت المقدس كما ورد في الروايات انه كان يتعبد داخله باتجاه المحراب مما يجعل الكعبة قبلة وبيت المقدس مصلى بمثابة المسجد الحرام للكعبة ولا يوجد بداخل بيت المقدس مكان للطواف. كما قال رسول الله ﷺ "البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي" وهو حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا رواه ابن جريج. [٧، ص ١٠٧]

وفي تفسير البرسوي ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ [١، سورة يونس، آية ٨٧] أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلى إليها وفي تفسير للآية ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ [١، سورة البقرة، آية ١١٥] يقول البرسوي - انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بمكة مع أصحابه إلى الكعبة. [٧] ولقد روى ابن إسحاق عن كعب بن مالك قال: خرجنا حجاجاً مع مشركي قومنا وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور وسيدنا وكبيرنا فذكر شأن صلاته إلى الكعبة وصححه ابن حبان من طريقه. [٨، ص ٢٢٨]

وفي شرح روح البيان ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٢٠] يقول: إذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته أي دينه أي لن ترضى عنك اليهود إلا بالتهود والصلاة إلى قبلتهم وهي المغرب ولا النصارى إلا بالتنصر والصلاة إلى قبلتهم وهى المشرق. [٩] فالشرق والغرب اتخذتا قبلة لأهل الكتاب في زمن رسول الله.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - عند احمد - بإسناد صحيح، رجاله ثقاة، وصححه الحافظ المندري - قال ﷺ "وجعلت لي الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي

يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم"[٢، ص٢٣١]، ونحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قوله ﷺ " أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، ولا أقولهن فخراً .... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً " الحديث، رواه احمد وابن أبي شيبه والطبراني والبزار – وزاد في روايته "لم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه" وإسناد احمد وابن أبي شيبه حسن.[٢، ص٢٣١]

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد استخلف على المدينة قبل سفره إلى القدس عام ١٥ من الهجرة الأمام على بن أبي طالب كرم الله وجه وخرج من المدينة وهو على بعير يحوي جرارتين في الأول سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنه للزاد فدنا من المسجد. فلما أنفرق الباب، قال : (لبيك اللهم لبيك، بما هو احب إليك) ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام، وذلك ليلاً، فصلى فيه وهذا المكان الذي صلي فيه يبدو لي انه المكان الذي صلي فيه رسول الله ﷺ وهو باتجاه الكعبة. مما يدل على أن محراب داود كان متجهاً للكعبة.

ويروي الأمام احمد في مسنده عن عبيد بن آدم وابن مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال: فقال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لكعب أين ترى أن أصلى فقال بين يديك فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى [٦] فالشاهد هنا قول عمر رضى الله عنه ولكن أصلى حيث صلى رسول الله وحيث أن هذه الواقعة حصلت لرسول الله ﷺ أثناء الإسراء والمعراج حيث صلى بالأنبياء فكانت قبلته آنذاك الكعبة فلذلك استدبر الصخرة واستقبل الكعبة ويستنتج ذلك من قيام رسول الله ﷺ بالصلاة يمين الصخرة أي جنوبها و لم يقل الرسول ﷺ صليت إلى الصخرة والحديث مذكور بكامله في قصة الإسراء "صليت ليلة اسري بي إلى بيت المقدس يمين الصخرة"[١٠، ص١٦٠] وفي قصة الإسراء والمعراج كما ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد عندما دخل بيت المقدس وقول جبريل عليه السلام : أما الذي على يمينك فإنه محراب أخيك داود. وعن صلاته ﷺ يروي ما نصه : ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثيرون فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة فقاموا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين.[١١، ج٣ ص، ٨٤] ومحراب بيت المقدس هو محراب داود الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عند فتح القدس ويذكر الدرامي : انه لا يجوز الاجتهاد يمنةً ولا يسرةً بمحراب المقدس.[١١، ص١١١] وهذه دلالة قاطعة على أن محراب داود كان متجهاً إلى الكعبة.

وأنني لم أجد أي دليل أو إشارة بأن اليهود والنصارى مأمورون في التوجه إلى الغرب أو إلى الشرق ولا أراها إلا بدعة ابتدعوها فلا يوجد في التوارة ولا في الأناجيل الأربعة المعتمدة (متى، ماركوس، يوحنا، لوقا) ولا حتى في إنجيل برنابا ما يؤيد دعواهم ولقد ذمهم الله عز وجل في القرآن بقوله ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾[١، سورة البقرة، آية ١٧٧]، واحسن تفسير لاتخاذ النصارى الشرق أو اليهود الغرب قبلة قول حبر هذه الأمة سيدنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما بقوله أنه اعلم أهل الأرض في تحريفهم للقبلة وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

فإذا كان أنبياؤهم وأحبارهم حجوا قِبَل هذا البيت وتوجهوا إليه في صلواتهم فلقد أضلهم الله (اليهود والنصارى) عن معرفة القبلة لما عصوا أنبياءهم وحرفوا كتبهم. ويحاول البحث إثبات أن القبلة الأولى هي الكعبة وهي التي اتجه إليها أنبياؤهم صلوات الله عليهم أجمعين فيثبت بذلك هدايتنا وضلالهم.

منهج البحث

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي في استنباط ضلال اليهود والنصارى عن الاهتداء للقبلة الأولى بالاستعانة بالشواهد المعمارية في دراسة المساجد والكنائس والمعابد وأماكن العبادة الكثيرة كدليل مادي وشاهد حي من التاريخ معتمداً على المراجع الأساسية من الكتاب والسنة والبحث عن كل ما يخص المسجد والقبلة من الآيات والأحاديث وكتب التفسير ومن ثم تجميعها وتكوين نظرية تستند بالإضافة إلى المراجع الإسلامية إلى جميع ما في التوراة والإنجيل فيما يخص أمر القبلة.

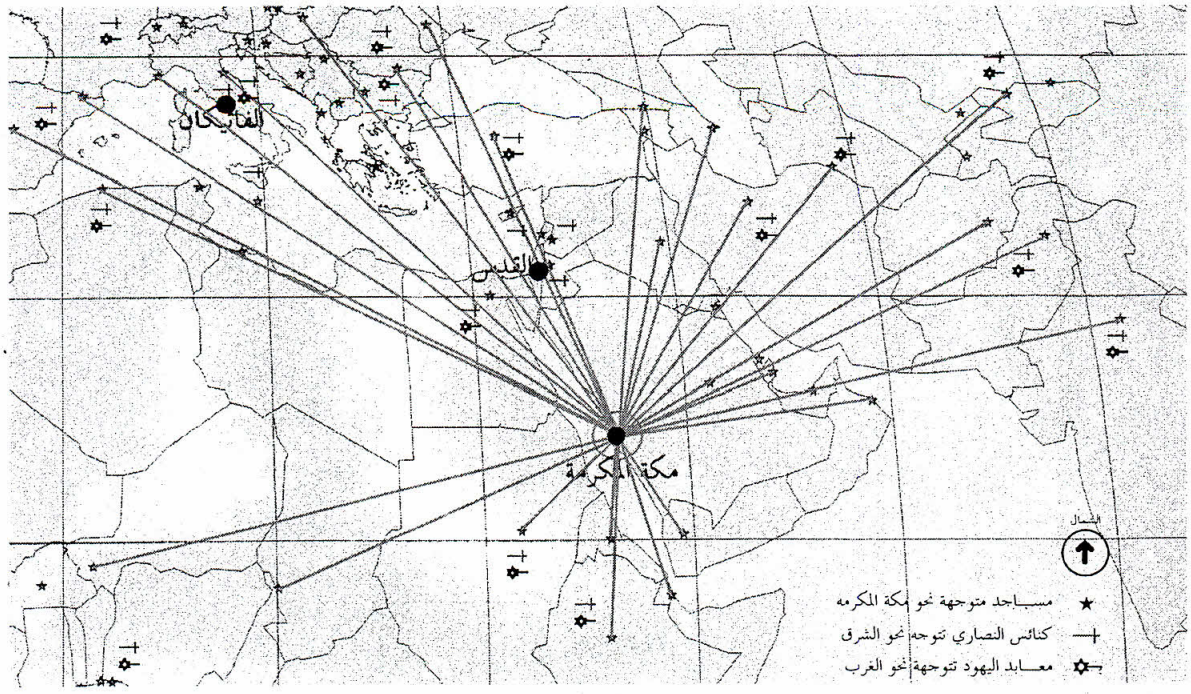
تعريف القبلة

جاء في لسان العرب المحيط، القبلة : ناحية الصلاة وقال اللحيانى : أين قبلتك أي أين جهتك ومن أين قبلتك أي من أين جهتك والقبلة التي يصلى نحوها وفي حديث ابن عمر عن القبلة وجوابه: "ما بين المشرق والمغرب"، فأما الحاضر فيجب عليه التحري والاجتهاد وهذا إنما يصح لمن كانت القبلة في جنوبه أو شماله ويجوز أن يكون أراد به قبلة أهل المدينة ونواحيها فإن الكعبة جنوبها والقبلة في الأصل الجهة. والمحراب يدل على القبلة.[١٢، ج٣، ص ١٧]

قال الأمام مالك رحمه الله : "أن الكعبة قبلة أهل المسجد والمسجد قبلة مكة وهي قبلة الحرم وهو قبلة الدنيا" وللازرقي في تاريخه نحو ذلك [١٣، ج٢، ص ١٩] (شكل ١).

أما قبلة الكعبة، فوجهها وهو المقابل لمقام إبراهيم عليه السلام وهو الذي عليه الباب ولقد بين ذلك الرسول ﷺ بعد دخوله مكة وفي هذه الحالة عندما يكون المصلي في مقام إبراهيم أو عند مصلى آدم عليه السلام فتكون الكعبة باتجاه الغرب منه بينما يكون بيت المقدس على يمين المصلى باتجاه الشمال قال المحب الطبري : وجه الكعبة يطلق على بابها، ولهذا قيل للمحاذي له خلفها دبر الكعبة، ثم قال : يطلق على جميع الجانب الذي فيه الباب.

عن ابن جريج، عن محمد بن عباد ابن جعفر، عن ابن السائب: أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح في وجه الكعبة، حذاء الطرفة البيضاء، ثم رفع يديه فقال : هذه القبلة.[١٣، ج١، ص٣٥١]



شكل ١: القبلة عند المسلمين هي مركز قبلة المساجد ومركزها الكعبة بينما تتجه جميع الكنائس إلى الشرق ومعابد اليهود تتجه إلى الغرب. [١٥]

قبلة المسلمين

بناء الكعبة

لقد اختلفت الآراء في بناء الكعبة ابتداءً من الملائكة ثم آدم ثم إبراهيم عليه السلام، لذا ينبغي إيراد ما يكفي في هذا الصدد للاستدلال به في معرفة بناء أول قبلة لذلك سأورد الأحاديث والروايات في استقبال آدم وطوافه حول الكعبة وكذلك الملائكة وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم وأن البيت الحرام لم يزل قائماً منذ زمن إبراهيم عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، وهو مثل الفلك من رعدته. قال: فطأطأ الله - تعالى - منه إلى ستين ذراعاً، فقال يارب، ما لي لا اسمع أصوات ملائكتك ولا حسهم ؟ قال تعالى: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابن لي بيتا وطف به واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي قال : فأقبل آدم - عليه السلام - يتخطى، فطويت له الأرض، وقبضت له المفازة، فصارت كل مفازة يمر بها خطوة، وقبض له ما كان من مخاض أو بحر، فجعل له خطوة، و لم يقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمراناً وبركة، حتى انتهى إلى مكة، فبنى البيت الحرام، وإن جبريل - عليه السلام - ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أُس ثابت في الأرض السفلى، فقذفت فيه الملائكة الصخار كل صخرة منها ما تطيق ثلاثون رجلاً، وإنه بناه من خمسة أجبل : من لبنان، وطور زيتا، وطور سيناء،

والجودى، وجبل حراء، حتى استوى على وجه الأرض. وكان قبل ذلك قد اشتد بكاؤه وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة، حتى إن كانت الملائكة لتحزن لحزنه ولتبكى لبكائه، فعزاه الله - تعالى - بخيمة من خيام الجنة، ووضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، وتلك الخيمة كانت من ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة. ثم بنى بنو آدم بها من بعدها مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح - عليه السلام - فنسفه الغرق وخفي مكانه فلما بعث الله - عز وجل - إبراهيم خليله - عليه السلام - طلب الأساس فلما وصل إليه ظلل الله له مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول، ثم لم تزل راكدة على حفافه تظلل إبراهيم وتهديه مكان القواعد، حتى رفع إبراهيم القواعد قدر قامته، ثم انكشفت الغمامة فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ [١، سورة الحج، آية ٢٦] أي : الغمامة التي ركدت على الحفاف لتهديه مكان القواعد، فلم يزل بحمد الله منذ رفعه الله - تعالى - معموراً. [١٣، ص ٣٦]

عن سعيد بن جبير، قال: حدثنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال: لبث إبراهيم - عليه السلام - في الشام ما شاء الله أن يلبث، ثم جاء في المرة الثالثة فوجد إسماعيل قاعداً تحت الدوحة التي في ناحية البئر يبرى نبلاً له أو نباله وعمره عشرون سنه، فسلم عليه ونزل إليه فقعد معه، فقال إبراهيم له : يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك فقال إبراهيم : امرني ربي أن أبني له بيتا فقال له إسماعيل وأين؟ يقول ابن عباس : فأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها رضراض من حصباء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها. يقول ابن عباس : فقاما يحفران عن القواعد، ويقولان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٢٧] ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته، ويبنى إبراهيم - عليه السلام - فلما ارتفع البنيان وشق على إبراهيم تناول الحجر منه قرب له إسماعيل هذا الحجر يعنى : المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى وجه البيت. يقول ابن عباس : فلذلك سمى مقام إبراهيم لقيامه عليه. [١٣، ص٥٩]

وروى البخاري ومسلم انه ﷺ قال "أول مسجد وضع في الأرض مسجد مكة". [١٤، ص ٢٠]

وعن خالد بن عرعرة عن على بن أبى طالب - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ [١، سورة آل عمران، آية ٩٦] قال: إنه ليس بأول بيت مطلقا بل كان نوح عليه السلام في البيوت قبل إبراهيم وكان إبراهيم في البيوت ولكنه أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا بهذه الآيات. [١٣، ص٦١]

ثم أهدم البيت فبنته العمالقة ثم أهدم فبنته قبيلة من جرهم ثم أهدم فبنته قريش فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود تنازعوا فيه فقالوا : أول رجل يدخل علينا من هذا الباب فهو يضعه، فدخل رسول الله ﷺ فأمر بثوب فبسط، ثم وضعه فيه ثم قال ليأخذ من كل قبيلة رجل من ناحية الثوب، ثم رفعوه إلى رسول الله ﷺ فوضعه بيده المباركة.

وذكر الازرقي: وزادت قريش في طولها في السماء تسعة أذرع ونقصت من طولها في الأرض ما تركته في الحجر لأنه قصرت بهم النفقة الحلال ورفعوا باب الكعبة ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وسقفوه ولم يزل على ذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير – رضى الله عنهما – فاستشار في هدم الكعبة وتجديدها فأشار جابر بن عبد الله وغيره بهدمها وتجديدها وأشار ابن عباس وغيره بتركها على حالها فعزم ابن الزبير على هدمها فخرج أهل مكة إلى منى فأقاموا بها ثلاثة أيام خوفا من أن ينزل عليهم عذابا بسبب هدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها فما اجترأ أحد على ذلك فعلاها ابن الزبير بنفسه وأخذ المعول فجعل يهدمها ويرمى أحجارها فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء اجترؤا وهدموها حجرا حجرا ثم عزل ابن الزبير ما يصلح أن يعاد من الأحجار في البناء فبنى به، وما لا يصلح أن يبنى به فأمر به فدفن في جوف الكعبة وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام فأدخل فيها ما نقصته قريش من الحجر وجعل لها بابين وزاد في طولها في السماء تسعة أذرع أخرى فصار طولها في السماء سبعاً وعشرين ذراعاً.[١٦, ص٢٢٠] ثم هدم الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان زيادة ابن الزبير وأعادها على بناء قريش، وأبقى ما علا ابن الزبير إلى السماء، واستقر بناؤها على ذلك إلى اليوم فكل الكعبة اليوم بناء ابن الزبير إلا الشق الذي من ناحية حجر إسماعيل عليه السلام وهو يظهر للرائي عند رفع أستار الكعبة المشرفة.[١٦, ص٢٢١] ولم يبن إبراهيم (عليه السلام) سقف البيت، ولا بناه بمدر وإنما رصه رصاً.[١٧, ص٦٣]

فالعلماء يجمعون على أن الكعبة أول بيت وضع للعبادة ولكن اختلفوا : هل هو أول بيت مطلقاً أم لا ؟ فقيل : كانت قبله بيوت والمنقول عن جمهور العلماء أنه أول بيت وضع للعبادة مطلقاً. فعن أبى ذر – رضى الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : "المسجد الحرام"، قلت : ثم أي؟ قال : "المسجد الأقصى" قلت : كم بينهما ؟ قال : "أربعون سنة" – متفق عليه واللفظ لمسلم. [٥]

وروى البخاري ومسلم انه ﷺ قال: "أول مسجد وضع في الأرض مسجد مكة". وروى الديلمي في مسند الفردوس وكذلك البيهقي في الشعب انه صلى الله عليه قال : "أن الله تعالى خلق مكة وعظم حرمتها وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألف عام ثم وصلها بالمدينة ثم وصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض كلها بعد بألف عام خلقاً واحداً".[١٤, ص ٢٠،٢١]

إن الله عز وجل لما أمر إبراهيم بعمارة البيت الحرام ورفع قواعده وتطهيره للطائفين والعاكفين عنده والركع السجود وهو يومئذ ببيت المقدس من ايليا وإسحاق فيما يذكرون يومئذ وصيف خرج إبراهيم حتى قدم مكة وإسماعيل قد نكح النساء وهذا يدل دلالة واضحة على أن إبراهيم عليه السلام إنما أعاد بناء الكعبة لأنه قدم من ايليا ويومئذ بيت المقدس معمور والرسول ﷺ يقول في الحديث أن هناك ٤٠ عاماً بين بناء الكعبة وبيت المقدس، فيدل هذا على أن أول بيت وضع للناس وهو الكعبة مبنى قبل بناء إبراهيم عليه السلام. ويدل على انه أعاد بناؤه وكذلك تقرير الأمام على كرم الله وجهه في آية ﴿أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ أن إبراهيم عليه السلام ليس أول من بنى الكعبة كما مر سابقاً.

القبلة الأولى : (الكعبة)

لقد انتشر حديثاً أن بيت المقدس هو أولي القبلتين أي انه كان القبلة الأولى للمسلمين واعطوا المشككين والمستشرقين من اليهود والنصارى أداة للطعن في اهتدائنا للقبلة وأننا تبعنا قبلتهم في أول مره ولقد غلطوا كما غلط غيرهم من قبل بدون التحقق من الأحاديث الكثيرة وتفسير المفسرين لكلام الله في هذا الشأن ومن دون مراعاة لعصمة الأنبياء أن يضلوا وعصمته ﷺ من أن يضل عن قبلة أبيه إبراهيم قبل أمر الله له في التحول إلى بيت المقدس، ولقد تتبعت منشأ هذا الخطأ حتى وجدت أن اصله مما كان يقوم به رسول الله ﷺ عندما كان يستقبل بيت المقدس ويجعل الكعبة بين يديه وذلك قبل الهجرة بقليل وهذا المكان هو بين الركنين متوجهاً إلى الشمال (اتجاه المسجد الأقصى) بينما في هذه الفترة كان اليهود يتوجهون في صلواتهم إلى جهة الغرب والنصارى يتوجهون إلى الشرق كما سيناقش ذلك لاحقاً ولقد غفلوا عن الأدلة الكثيرة التي تفيد بأمر الله عز وجل للنبي الكريم بالتوجه إلى بيت المقدس في مكة واستمر على ذلك حتى تحولت القبلة مرة أخرى إلى القبلة الأولي (الكعبة) وذلك بعد الهجرة وسوف أورد في هذا المقام جميع ما تيسر لي من الأدلة في إثبات أن الكعبة هي القبلة الأولى وهي أحد ثلاثة أمور يحسدوننا عليها أهل الكتاب ويريدوننا أن نضل كما ضلوا عنها كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً وإذا صح الإثبات فهو يؤكد عدم اهتداؤهم للقبلة.

ومن أهم الأدلة المادية على أن القبلة الأولى هي الكعبة كون مقام إبراهيم عليه السلام متجهاً نحو وجه الكعبة أي إلى الغرب بينما بيت المقدس/المسجد الأقصى شمال الكعبة ثم الروايات الكثيرة التي تدل على أن في هذا المكان (وجه الكعبة) مصلى آدم عليه السلام ومصلى إبراهيم عليه السلام وهو المكان الذي أمّ جبريل عليه السلام سيدنا رسول الله ﷺ عند باب الكعبة مرتين مرة في أول الوقت ومره في آخر الوقت ابتداء بصلاة الظهر وذلك عندما فرضت الصلاة بعد أن عرج به وقصة الإسراء والمعراج مشهورة.

والدليل من الحديث ما ذكره أبو ذر رضى الله عنه عند سؤاله لرسول الله ﷺ عن أول بيت وضع للعبادة في الأرض وأجابه الرسول ﷺ بأنه الكعبة ولقد ذكرت الحديث بكامله سابقاً.

والدليل من القرآن ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ [١، سورة آل عمران، آية ٩٦] وسوف اذكر الأدلة بالتفصيل وذلك لأهمية موضوع القبلة في الإسلام وهذه الميزة لا يشاركنا فيها أحد من الأمم الأخرى أو الأديان أو العقائد الأخرى.

الحديث التالي يبين لنا أن الموحدين من العرب والذين كانوا على ملة إبراهيم اتخذوا من الكعبة قبلة لهم فلقد كان زيد بن عمرو بن نفيل يخرج إلى الكعبة ويصلى عندها ركعة واحدة وسجدتين ولما سأله صديقه حجير بن أبي إهاب عما يفعل قال له زيد : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا اعبد حجرا ولا أصلى إلا إلى هذا البيت حتى أموت، حتى أنه التقى ذات يوم بعاد بن ربيعه وقال له : يا عاد إنني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد إسماعيل من بعده فقد كانوا يصلون إلى هذه القبلة وأنا انتظر نبياً من ولد إسماعيل يبعث ولا أراني أدركه وأنا

أومن به واصدقه واشهد انه نبي فإن طالت بك مدة فرايته فاقرئه مني السلام ولقد حكى عمار بن ربيعه للرسول ﷺ ما قاله زيد وقال له الرسول الكريم : رحم الله زيد بن عمرو فقد رأيته في الجنة يسحب ذيولا، وسوف يبعث يوم القيامة أمة وحده وذكر البخاري في معناه الأحاديث رقم ٣٦٧٥، ٣٦٧٦، ٣٢٩٥. ويروى عن رسول الله انه قال "رحم الله قساً انه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم" أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن عامر بن ابجر رضى الله عنه، فإذا كان قساً على دين إسماعيل فهو على قبلته وقبلة إسماعيل عليه السلام الكعبة.

ويروى في السيرة النبوية عن رسول الله قوله: "لا تسبوا مضر فإنه على ملة إبراهيم " وكانت الكعبة قبلتهم. وستأتي لاحقاً قصة البراء بن معرور وكيف انه كان يصلي إلى الكعبة قبل علمه بتغيير القبلة قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة. فالرسول الكريم أولى من مضر وقيس وزيد والبراء في إتباع ملة إبراهيم ومن ثم اتخاذ الكعبة قبلة له وفوق ذلك فهو معصوم من أن يتبع قبلة الضالين كما جاء على لسانه في الحديث إلا إذا كان مأموراً بذلك وخاصة إذا كان لا ينطق عن الهوى إن هو آلا وحيٌ يوحي. يقول الله عز وجل ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾. [١, سورة النحل، آيه ١٢٣]

وعن وهب بن منبه، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ يوماً وعليه عصابة حمراء قد علاها الغبار، فقال له رسول الله ﷺ "ما هذا الغبار الذي أرى على عصابتك أيها الروح الأمين ؟" فقال : يا رسول الله، إني زرت البيت الحرام فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبار الذي ترى مما تثير بأجنحتها.[١٣, ص ٣٤] وهذا الحديث والذي بعده وغيره يفيد بأن الكعبة هي قبلة الملائكة في الأرض.

وعن عبد الله بن لبيد، قال: بلغني أن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: لما أهبط الله تعالى آدم – إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام وهو مثل الفلك من رعدته، ثم انزل عليه الحجر الأسود – يعني : الركن – وهو يتلألأ من شدة بياضه، فأخذه آدم فضمه إليه أُنساً به، فقيل له : تخط يا آدم، فتخطى فإذا هو بأرض الهند والسند، فمكث بذلك ما شاء الله، ثم استوحش إلى الركن، فقيل له احجج، فحج فلقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.[١٣, ص ٤٤]

وعن عثمان بن ساج، قال: أخبرني عثمان بن يسار قال : بلغني – والله اعلم – أن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكاً من الملائكة لبعض أموره في الأرض استأذنه ذلك الملك في الطواف ببيته ، فهبط الملك مهللاً. قال وهب بن منبه : وقرأت في كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه أمر الكعبة فوجدت فيه: أن ليس من ملك من الملائكة بعثه الله – تعالى – إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت، فينقضّ من تحت العرش محرما ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت، ويركع في جوفه ركعتين ثم يصعد.[١٣, ص٣٩]

وروى الأزرقي "أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل إلى الأرض ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين" [١٣, ص٤٤] ويدل قوله تجاه الباب هذا على كون الكعبة هي القبلة الأولى. ويدل على مكان صلاته عليه السلام في

مكان مقام إبراهيم عليه السلام بمعنى انه كان يتجه إلى الكعبة باتجاه الشمال الغربي والرواية التالية تؤكد على استقبال إبراهيم عليه السلام الكعبة القبلة ومكان الصلاة (شكل ٢).

فعن محمد بن إسحاق قال، قال : لما فرغ إبراهيم – خليل الرحمن – من بناء البيت الحرام، وجاءه جبريل – عليه السلام – فقال طف به سبعاً، فطاف به سبعاً هو وإسماعيل، يستلمان الأركان كلها في كل طواف، فلما أكملا السبع هو وإسماعيل صليا خلف المقام ركعتين، وقال: واثر قدمي إبراهيم في المقام آية، وذلك قوله تعالى " ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾ [١، سورة آل عمران، آية ٩٧] (شكل ٣).

وذكر الأزرقي نص ما ذكره ابن سراقة : "ومن الباب – يعنى باب البيت – إلى مصلى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلوق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم (عليه السلام)، وصلى النبي ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله عليه ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾. [١، سورة البقرة، آية ١٢٥] ثم نقله ﷺ إلى الموضع الذي هو فيه الآن، وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل حين يكثر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من كل وجه، ثم حمله السيل في أيام عمر (رضى الله عنه)، وأخرجه من المسجد، فأمر عمر (رضى الله عنه) برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، وبين موضع الخلوق – وهو مصلي آدم (عليه السلام) – وبين الركن الشامي ثمانية أذرع ". [١٨، ص ٣٨٧]

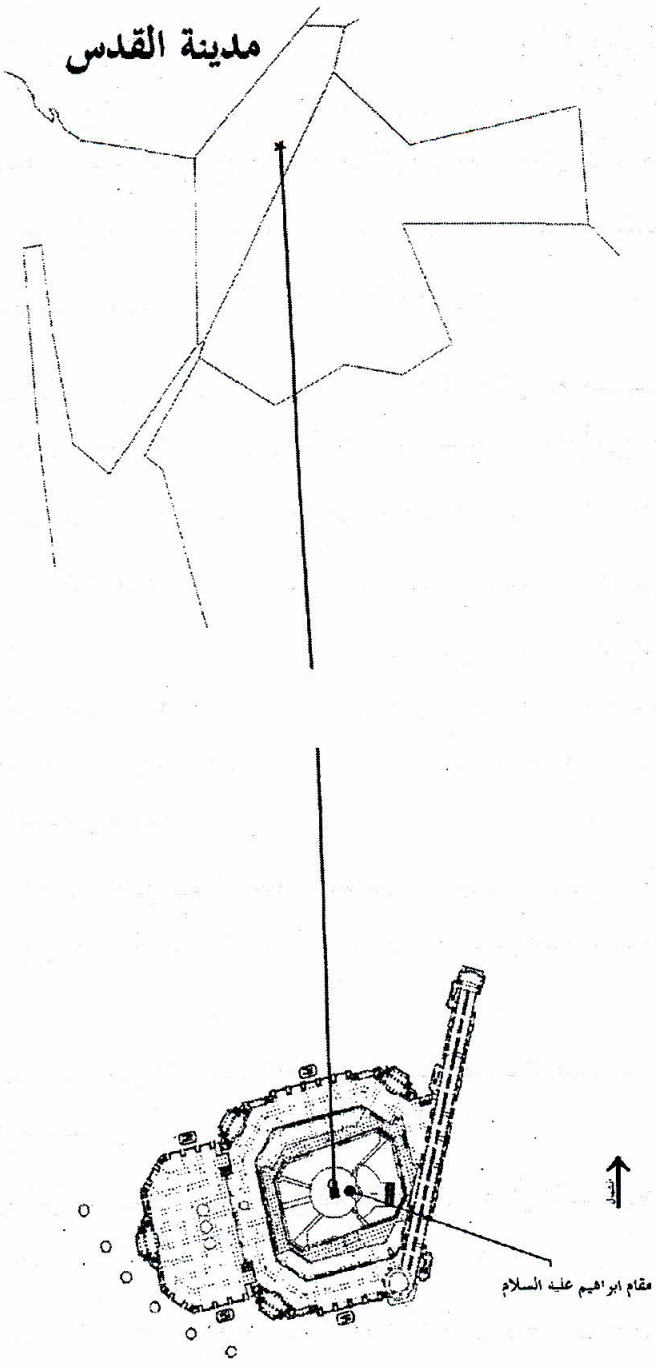
ولقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ صلى ركعتي الطواف خلف المقام فعن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه: أن النبي ﷺ اعتمر وطاف بالبيت وصلى خلف المقام، كما صلى آدم عليه السلام من قبل وبنوه من الأنبياء عليهم السلام. [١٩]

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: " أن جبريل عليه السلام أمنّى حين فرضت الصلاة عند باب الكعبة مرتين"رواه الإمام الشافعي رحمه الله بإسناد حسن. [٢٠]

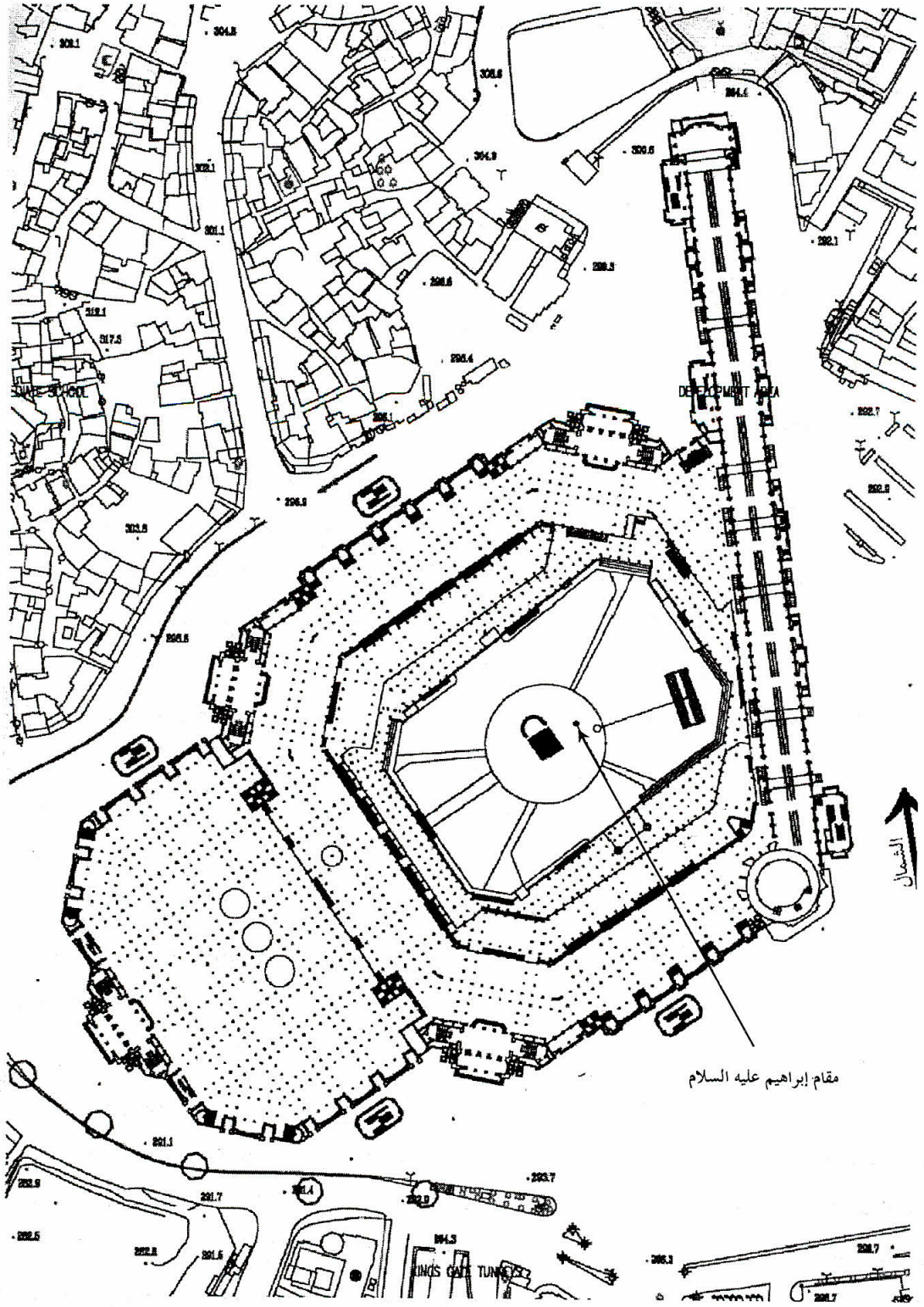
في تاريخ الأزرقي، وفوائد الرازي من حديث ابن عباس (رضى الله عنهما) ، عن النبي ﷺ "أمنّى جبريل (عليه السلام) عند باب الكعبة مرتين." [١٣، جزء١، ص٣٥٠]

ولقد وقع لشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام الشافعي، وشيخ اليمن أحمد بن موسى بن العجيل، ما يقتضي أن مصلى جبريل بالنبي ﷺ هو الحجرة المرخمة. [١٨، ص٤٠٥]

قال الحافظ المؤرخ تقي الدين الفاسى أن الحفرة المرخمة في وجه الكعبة هو موضع المقام عند البيت ويقال أنها الموضع الذي صلى فيه جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ لما فرضت الصلاة. [٢١، ص٨٠] وهذا يدل على أن قبلته هي الكعبة وليس بيت المقدس.



شكل ٢: المسجد الأقصى شمال الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى الكعبة غرباً وهـذا يـدل دلالـه قاطعـه علـى أن الكعبـة قبلته وليس بيت المقـدس. [١٥]



شكل ٣: مقام إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى الكعبة باتجاه الغرب ولو كان يتوجه في عبادته إلى الصخرة في بيت المقدس لكان مقامه بين الركنين. [١٥]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إن الحفرة الملاصقة للكعبة في ناحية الباب هي المكان الذي صلى فيه جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ الصلوات الخمس في اليومين حين فرضها الله تعالى على أمته يعلمه الأوقات.[١٨، ص ٤٠٦]
فقول الرسول ﷺ "عند باب الكعبة" يدل دلالة قاطعة انه ﷺ كان يتوجه في صلاته إلى الكعبة وليس إلى بيت المقدس في أول الأمر.

في الفتوحات الاحمدية للعجيلي الشافعي الشهير بالجمل روى عن أبي سعيد رضى الله عنه ما نصه "قال : مازلنا اعزه منذ اسلم عمر، كان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً وإمامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع أن نصلى إلى البيت حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا." [٢٢، ص١١٢] والشاهد هنا قوله نصلي إلى البيت وهذا قبل إشهار الإسلام وبهذا نجزم أن القبلة كانت في أول الإسلام إلى الكعبة.

وعن يحي ابن أبى أنيسة في قول الله عز وجل ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾[١، سورة آل عمران، آية٩٦] قال: كان موضع الكعبة قد سماه الله عز وجل بيتاً قبل أن تكون الكعبة في الأرض وقد بنى قبله بيت ولكن الله سماه بيتاً وجعله الله مباركاً وهدى للعالمين قبلة لهم. [١٣، ص ٧٦]
والدليل المادي الذي لا يقبل الشك والباقي إلى هذا الزمان مسجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في حرم المسجد الأقصى والذي يتوجه إلى القبلة ويقع جنوب الصخرة وفيه يقول رضى الله عنه: (اصلي حيث صلى رسول الله ﷺ) والحديث بكامله رواه عبيد بن آدم، وهذا المكان هو الذي صلى فيه رسول الله في حادثة الإسراء والمعراج والقصة مشهورة رواه مسلم في صحيحه وفي سنن النسائي. قال رسول الله ﷺ : ثم دخلت ببيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتى أممتهم. وأصل الحديث متفق عليه[٢، ص١٣٠] وعن عبيد بن آدم وأبى مريم وأبى شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال فقال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصلي فقال كعب إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس[٢٣، ص١١٧] حتى لا يتوهم الناس انه يصلي إلى الصخرة وفيها إشارة واضحة من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن قبلة رسول الله قبل المعراج كانت إلى الكعبة.

كما حج البيت الحرام (الكعبة) جميع الأنبياء والحج في اللغة هو القصد والتوجه فلا يعقل أن يحج الأنبياء البيت الحرام ويتركون بيت المقدس ولا يصح أن تكون هناك قبلتان ومحجتان في نفس الوقت. فأول مسجد عبارة عن بيت الله الكعبة وهو مكعب الشكل يطاف حوله وهى مركز جميع الاتجاهات للمساجد وحيث أن المسجد الأقصى بنى بعد الكعبة فبالضرورة يتجه إليها. وبالنظر إلى خريطة القدس نجد أن أضلاع حرم القدس الشريف يتوجه إلى الكعبة والروايات التالية توضح من حج من الأنبياء وغيرهم: فلقد روى أن آدم عليه السلام – حج البيت سبعين حجة من ارض الهند ماشياً.

وقال عروة بن الزبير : بلغني أن نوحاً عليه السلام حج البيت وجاءه وعظمه قبل الغرق وقال مجاهد : حج إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – ماشيين، وحج موسى عليه السلام راكباً على جمل أحمر وعليه عباءتان. وعن النبي ﷺ فيما رواه ابن عباس : أنه مر بوادي الأزرق، فقال كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية، له جؤار إلى الله تعالى بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشي، فقال " كأني أنظر إلى يونس عليه السلام على ناقة جعده، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خُلبة ماراً بهذا الوادي ملبياً." [٢٤، ص ٥١، ٥٢]

وفى رواية أنه ﷺ صلى في مسجد الروحاء، ثم قال: " صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً، ولقد مر موسى بن عمران حاجاً أو معتمراً بسبعين ألفا من بنى إسرائيل على ناقة ورقاء عليه عباءتان قطوانيتان" وفى رواية عنه ﷺ أنه قال: " لقد مر الفج سبعون نبياً لباسهم العباء، وتلبيتهم شتى، منهم يونس بن متى، وكان يقول لبيك فراج الكروب لبيك وكان موسى عليه السلام يقول: لبيك أنا عبدك لديك، وكان عيسى عليه السلام يقول لبيك أنا عبدك ابن أمتك بنت عبديك." [١٣، ص٧٣]

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: أتى هذا الوادي عيسى وموسى وصالح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام على بكرات، خطمهم الليف، وازرهم النمار، وارديتهم العباء، يلبون، يحجون هذا البيت العتيق. وعن مجاهد في رواية أبو نعيم أنه قال: كان يحج من بنى إسرائيل مائة ألف فإذا بلغوا أنصاب الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حفاة. [١١، ص ٢١٢] ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال: حج الحواريون، فلما دخلوا الحرم مشوا تعظيماً للحرم.

قال ابن إسحاق: وبلغني أن آدم – عليه السلام – كان استلم الأركان كلها قبل إبراهيم – عليه السلام – وحج إسحاق وسارة أمه من الشام، وكان إبراهيم – عليه السلام – يحجه كل سنة على البراق. قال: وحجت الأنبياء – عليهم السلام – والأمم. [١٣، ص٦٨]

وعن غالب بن عبد الله قال: سمعت مجاهداً يذكر عن ابن عباس قال: مر بصفاح الروحاء ستون نبياً إبلهم مخطمة بالليف. وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن عباس انه كان يقول : لقد سلك فج الروحاء سبعون نبيا حجاجاً عليهم لباس الصوف، مخطمى رواحلهم بحبال الليف، ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً. [١٣، ص ٧٢، ٧٣]

وقال النبي ﷺ "كل نبي إذا هلكت أمته لحق بمكة فيعبد الله تعالى بها ذلك النبي ومن معه حتى يموت فيها قال: حتى مات فيها نوح وهود وصالح وشعيب. [١١، ص ٢١٠]

وقال وهب بن منبه: خطب صالح عليه السلام للذين آمنوا معه حين هلك قومه: إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها فاظعنوا منها ، فقالوا: مُرنا بم نفعل؟ قال: تلحقون بحرم الله تعالى، فأهلوا من ساعتهم بالحج، ثم أحرموا في العباء، فوردوا مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم بين دار الندوة ودور بنى هاشم. [١٦، ص١١٨]

وعن عطاء بن السائب : أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلا يطوف بالبيت فأنكره، فسأله ممن أنت ؟ قال : من أصحاب ذي القرنين قال : وأين هو؟ قال : هو بالأبطح، فتلقاه إبراهيم عليه السلام فاعتنقه ومشى معه فقيل لذي القرنين : لم لا تركب؟ قال : ما كنت لأركب وهذا يمشي، فحج ماشياً.[١٣، ص ٧٤]

وحج سيدنا محمد ﷺ قبل البعث وبعده قبل نزول فرض الحج وقبل هجرته حججاً (شكل ٤).



شكل ٤: تعبد رسول الله في غار حراء باتجاه الكعبة قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وذلك قبل البعثة (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً). [١٥]

ولقد أكد رسول الله ﷺ القبلة الأولى للناس بعد فتح مكة ولتبقى إلى الأبد فيما رواه ابن عباس (رضى الله عنهما) سأل ابن السائب عن موضع مصلى النبي ﷺ في وجه الكعبة، والحديث يقتضي إخبار ابن السائب بأن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة في وجه الكعبة، وأنه رفع يديه وقال "هذه القبلة ". [١٣, ص ٣٥١]

ومن الروايات السابقة يتضح لنا أن الكعبة كانت قبلة ومحجة للأنبياء كلهم.

فضائل مكة

قال الحسن البصري – رضى الله عنه – في فضائل مكة، شرفها الله تعالى : ما أعلم على وجه الأرض بلدة ترفع فيها الحسنات من أنواع البر كل واحدة بمائه ألف إلا بمكة، وما أعلم بلدة على وجه الأرض يتصدق بدرهم واحد يكتب بمائه ألف درهم إلا بمكة، وما اعلم بلدة على وجه الأرض أن مس شيء يكون تكفيراً لخطاياه وانحطاطاً لذنوبه كما ينحط الورق من الشجر إلا بمكة – وهو استلام الحجر الأسود والركن اليماني – وما أعلم بلدة على وجه الأرض إذا دعا أحد بدعاء أمنت له الملائكة فيقولون : آمين آمين إلا بمكة حول بيت الله تعالى، وما أعلم بلدة على وجه الأرض صدر إليها جميع الأنبياء والمرسلين خاصة إلا بمكة، وما أعلم بلدة على وجه الأرض يحشر منها الأنبياء والرسل والفقهاء والأبرار والزهاد والعباد والشهداء والصالحون من الرجال والنساء إلا بمكة إنهم يحشرون وهم آمنون يوم القيامة ، ثم قال : وما أعلم بلدة على وجه الأرض كل يوم تنزل فيها رائحة الجنة وروحها إلا بمكة وذلك للطائفين والمصلين والناظرين. [١٦, ص١١٦]

و عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن جريج قال: بلغنا أن اليهود قالت : بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الأنبياء ولانه في الأرض المقدسة وقال المسلمون : الكعبة اعظم فبلغ ذلك النبي فنزل ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾ [١, سورة آل عمران، آية ٩٦] حتى بلغ ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ [١, سورة آل عمران، آية ٩٧] وليس ذلك في بيت المقدس ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ [١, سورة آل عمران، آية ٩٧] وليس ذلك في بيت المقدس قال عثمان : وأخبرني خصيف قال : أول بيت وضع للناس قال : أول مسجد وضع للناس، وقال مجاهد : أول بيت وضع للناس مثل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس. [١٣, ص٧٥]

مكان الصلاة

من نعم الله على الأمة المحمدية أن جعل هذا الدين يسراً فلقد أعطى الله حبيبه ما لم يعط غيره من الرسل والأنبياء وفي الحديث الذي رواه الأمام أحمد بسند حسن وحسنه ابن كثير أيضا : واحل لنا كثيراً فيما شدّد على من قبلنا و لم يجعل علينا من حرج. [٢, ص٢٨٧] فلقد روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر – رضى الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال : "المسجد الحرام "، قلت : ثم أي ؟ قال "المسجد الأقصى" قلت : كم كان بينهما ؟ قال "أربعون سنه، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلها فإن الفضل فيه." وفي زيادة الفراء "فأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد." وهذا حديث صحيح أخرجاه في الصحيحين، وأخرجه النسائي والقزويني وبهذا الحديث خفف على الأمة المحمدية مما كانت تعانيه الأمم

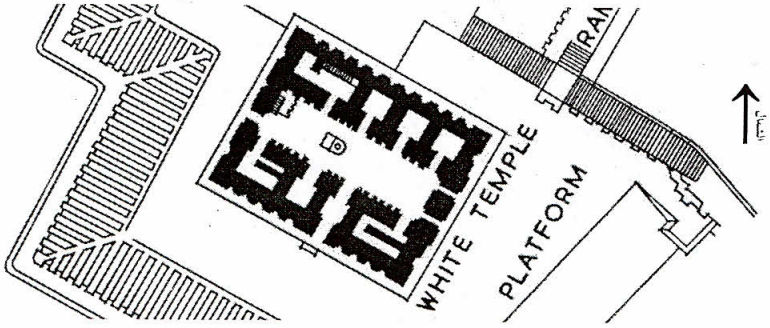
الأخرى من أداء صلواتهم في أماكن مخصوصة وخاصة اليهود والنصارى، وسوف استدل على ما سبق من اقدم كتاب عند النصارى فكانت لا تقبل صلواتهم إلا في كنائسهم وبيعهم.

ففي الفصل التاسع الفقرة السابعة من إنجيل برنابا ما نصه: "ولما بلغ يسوع اثنتي عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف إلى أورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة في كتاب موسى "، وفي الفصل العاشر : ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة، من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا وبينما كان يصلى في الظهيرة، وفي الفصل الثاني عشر : "فاضطربت المدينة كلها لهذه الكلمات وأسرع الجميع إلى الهيكل ليروا يسوع الذي دخل إليه ليصلى"، وفي الفصل الثالث عشر : صعد إلى جبل الزيتون ليصلى، وفي الفصل ١٢٨ : صعد رجلان إلى الهيكل هنا ليصليا، وفي الفصل ١٥٥ : يسوع الذي كان قد خرج من الهيكل وكان جالسا في رواق سليمان منتظرا ليصل صلاة الظهيرة، وفي الفصل ١٥٦ : ولما اجتاز يسوع من الهيكل بعد أن صلى صلاة الظهيرة. وفي الفصل السابع والثمانين بعد المائة : أيها الأخ أني أريد أن اذهب إلى أورشليم لأقوم بتقديم ذبيحة لإلّهنا ولكن ليس لي رداء فلا أدرى ماذا افعل. [٢٥] وهذه المقاطع تجدها في الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ايضاً.

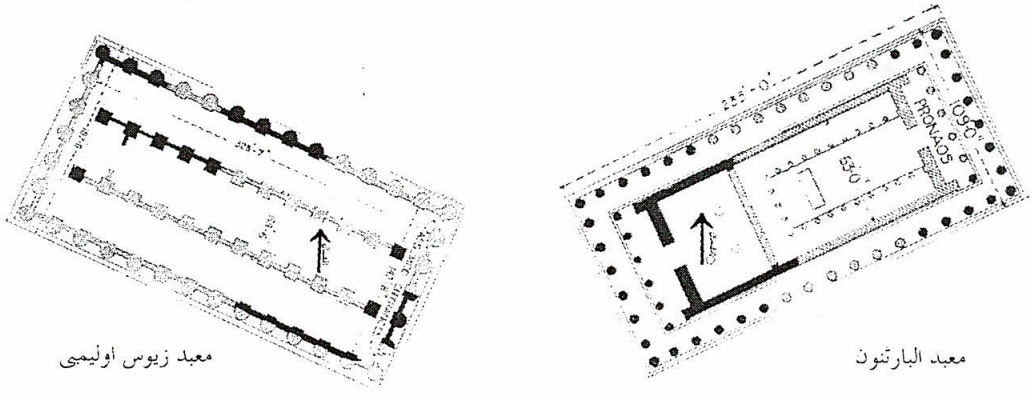
ونرى مما سبق انه لابد لليهود والنصارى من الذهاب إلى مكان الصلاة لأدائها أو تقديم القربان ونحوه. وهو يتفق مع قوله ﷺ والذي رواه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما – عند احمد – بإسناد صحيح، رجاله ثقاة، وصححه الحافظ المنذري – قال ﷺ "وجعلت لي الأرض مساجداً وطهوراً أينما ادركتنى الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم ". [٢، ص٢٣١]

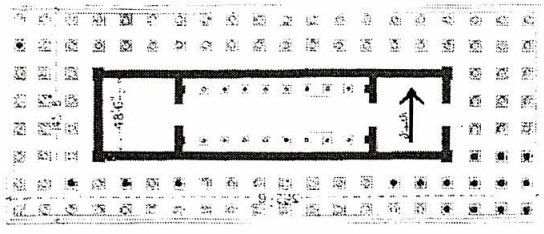
قبلة الوثنيين

يتوجه الوثنيون وعباد الأصنام إلى الأوثان التي تتواجد داخل أماكن العبادة التي تأويها وهي المعابد فبالتالي لم يكن للمعبد نفسه اتجاه حيث أن المبنى يأوي الصنم فكانت المعابد مرة تتجه إلى الشرق ومرة أخرى إلى الغرب ومره إلى الشمال وأخرى إلى الجنوب أو بينهما، لذلك كانت معابد الإغريق والرومان تأخذ اتجاهات متعددة على عكس المعابد الفرعونية والتي كانت تمجد الشمس فكانت معابدهم تتجه شرقاً وكذلك في بلاد ما بين النهرين (شكل ٥)، وتوضح لنا الآثار المعمارية في مخططات المعابد الإغريقية (شكل ٦) والرومانية (شكل ٧) والفرعونية (شكل ٨) عدم وجود فكرة القبلة إلى جهة معينة بل كل معبد له اتجاه ويختلف عن الآخر والمخططات توضح لنا أن المعابد في مصر الفرعونية والمعابد الإغريقية وكذلك الرومانية لم يكن لإيواء المصلين ولكون الصنم داخل المعبد لم يهتموا بالتوجيه. أن الوثنية هي الإيمان بتعدد الآلة وهو انحراف عن العقيدة الصحيحة والتي أتى بها الأنبياء والتي كانت قبلتهم الكعبة.

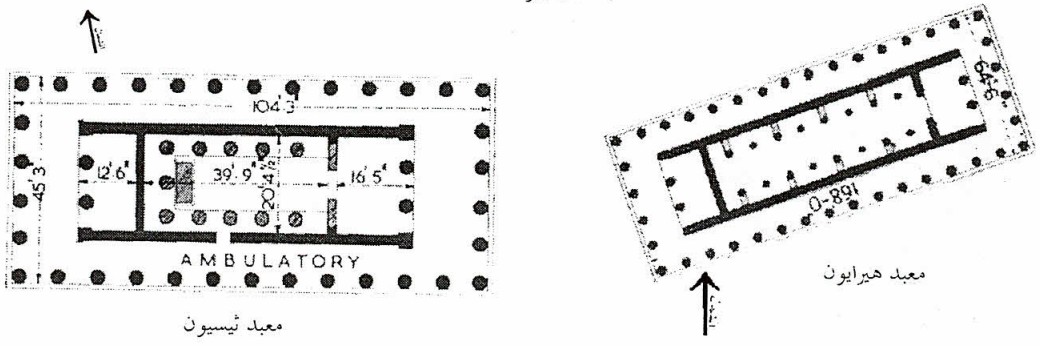


شكل ٥: المعبد الأبيض (في وركه) , العراق. [٢٦]

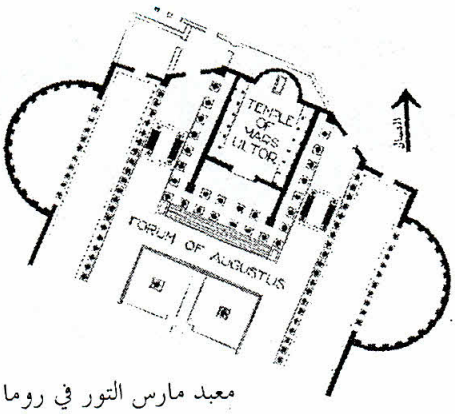




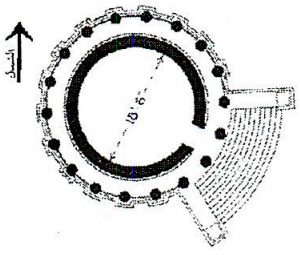
معبد الاليمبيون



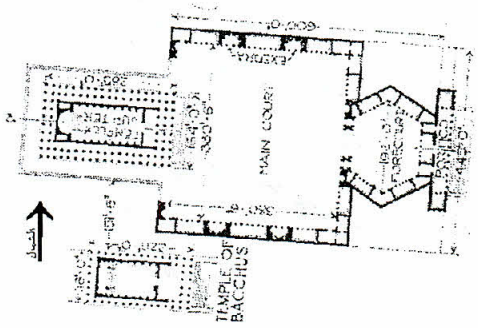
شكل ٦: لا يوجد اتجاه محدد للقبلة في المعابد الإغريقية. [٢٦]



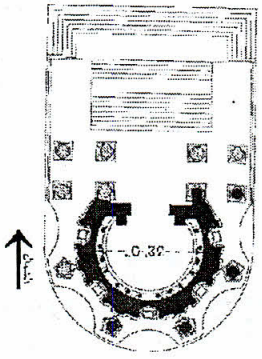
معبد مارس التور في روما



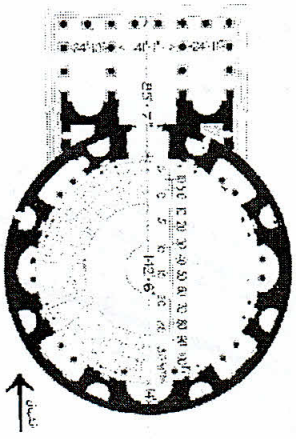
معبد فيستا في روما



معبد جوبيتر بعلبك في لبنان

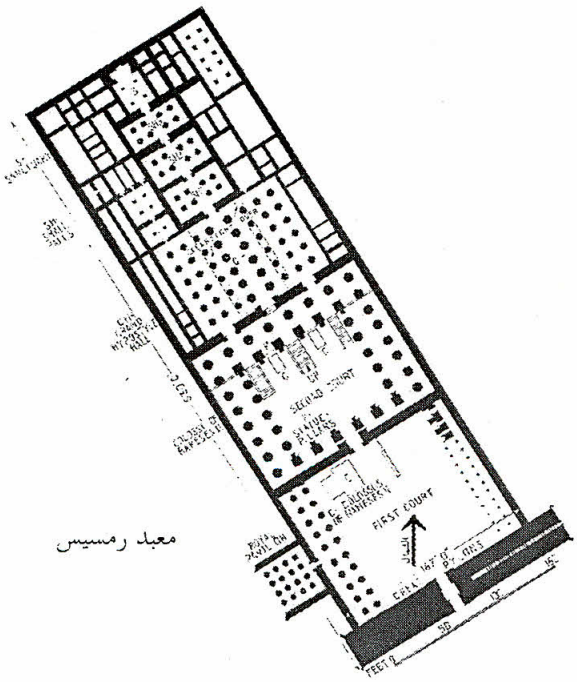


معبد فينس في بعلبك

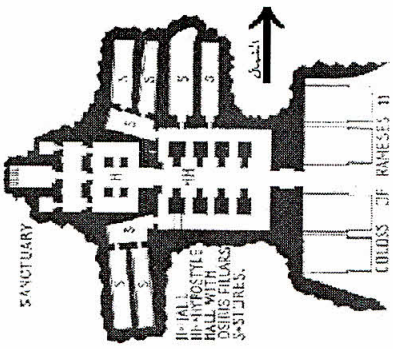


معبد البانثيوني في روما

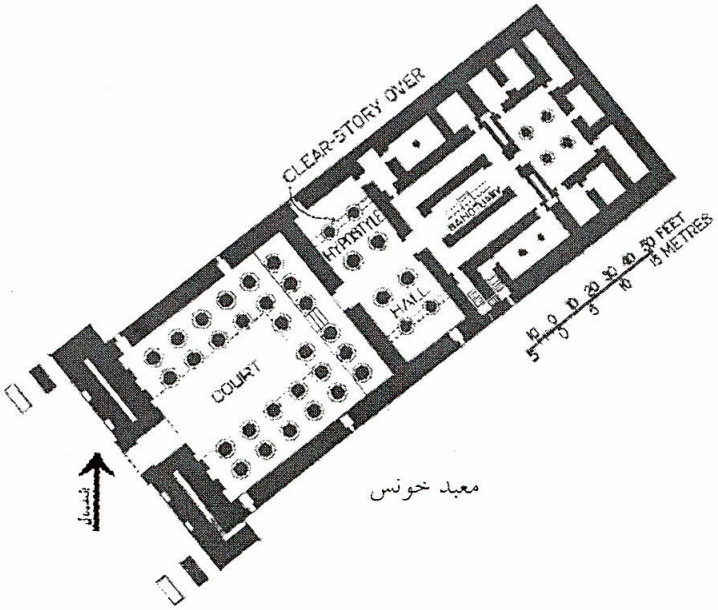
شكل ٧: لا يوجد اتجاه محدد للقبلة في المعابد الرومانية. [٢٦]



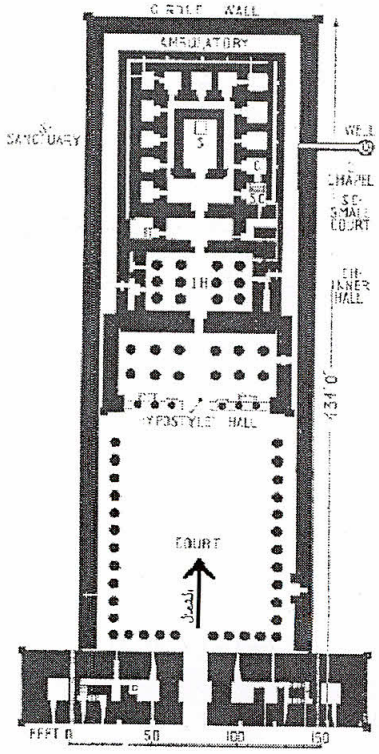
معبد رمسيس



معبد ابو سيمبل



معبد خونس



معبد حورس

شكل ٨: لا يوجد اتجاه محدد للمعابد في مصر القديمة. [٢٦]

قبلة اليهود والنصارى

جهة القبلة عند اليهود والنصارى

كانت قبلة النصارى في عهد النبي ﷺ إلى جهة الشرق وقبلة اليهود إلى جهة الغرب بدليل قول الله عز وجل ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٧٧] وفي حديث المباهلة ما يدل على توجه نصارى نجران إلى الشرق في صلاتهم، بينما صلى رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم باتجاه بيت المقدس عندما أُمِر بالتوجه إلى المسجد الأقصى جاعلاً الكعبة بين يديه عندما كان في مكة وإلى الشمال عندما كان في المدينة.

وفى أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى يقول في تفسير قول الله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ [١، سورة مريم، آية ١٦] شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها وكذلك اتخذ النصارى المشرق قبله ، وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت. وهذا هو سبب توجههم للشرق، قال الحسن والمعنى حين اعتزلت وانفردت وتباعدت من موقعها واتت مكانا شرقيا من دار خالتها أيشاع زوجة زكريا فإن موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فاحتاجت إلى الاغتسال وكان الوقت وقت الشتاء فجاءت إلى ناحية شرقية من الدار وموضع مقابل للشمس.[٩، جزء ٥، ١، ٢] ومن ثمة اتخذ النصارى المشرق قبلة كما اتخذ اليهود المغرب قبلة لان الميقات وإيتاء التوارة وقعا في جانب الجبل الغربي كما قال تعالى ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾[١، سورة القصص، آية ٤٤] (شكل ٩-١٣).

"ثم تبع لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل : حيلة ليفسده، فانه كان فيلسوفاً وقيل : جهلا فيه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة، وصلوا له إلى المشرق"[٢٧] (شكل ١٤-١٥).

ولقد ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق في سيرته في حديث المباهله ما نصه : وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى من نجران ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم .... فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون, فقال رسول الله ﷺ : "دعوهم" فصلوا إلى المشرق [٢٨، م٣، ص ٥١] (شكل ١٦).

ولو كان قبلتهم بيت المقدس لصلى نصارى نجران باتجاه الشمال وفيهم العلماء والأحبار. وهذه الرواية مثبتة في كتب السير في قصة المباهلة وتؤكدها الأدلة المادية وهي آثار الكنائس القديمة والحديثة كلها تتوجه للشرق (شكل ١٧-١٨).

يمكن الاستقراء مما سبق أن القبلة للنصارى إلى الشرق دائماً ففي تعريف الكنيسة حسب ما جاء في THE NEW JUNIOR WORLD ENCYCLO PEDIA "هو مبنى يلتقي فيه النصارى للعبادة، غالبا ما يتجه نحو الشرق" [٢٩] (شكل ١٩).

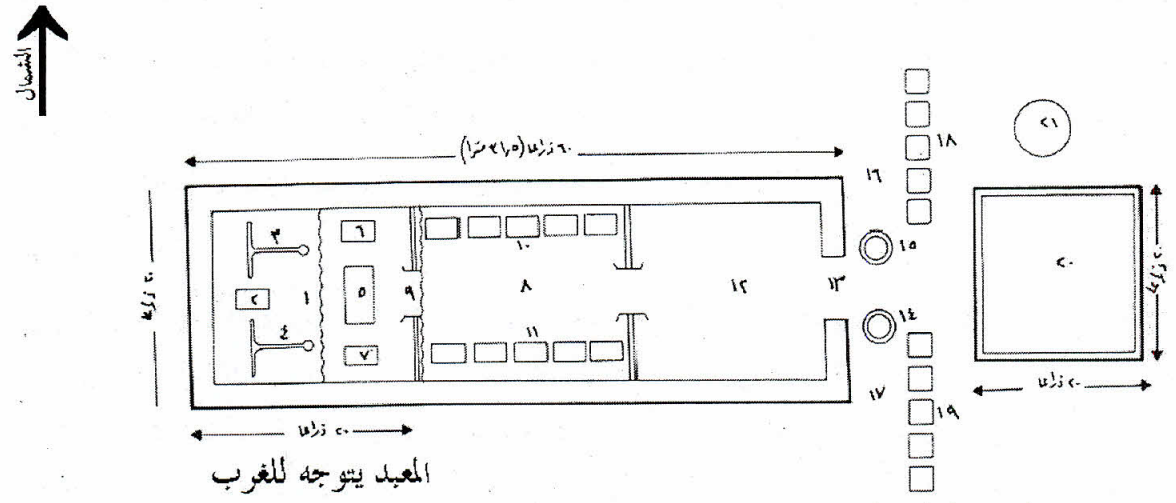
ولقد ثبت من مراجعة مخططات اغلب الكنائس المشهورة في العالم قديما وحديثا أنها تتجه نحو الشرق دائما حتى التي في شرق القدس والسبب في اتخاذهم الشرق قبلة وتركهم قبلة إبراهيم عليه السلام هو ما اختاره ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير

قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ [١، سورة مريم، آية ١٦] أي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس قال أبو كدينه عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قول ربك ﴿انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ [١، سورة مريم، آية ١٦] قال اتخذت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل طلوع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، قال ابن جرير حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله تعالى ﴿انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ [١، سورة مريم، آية ١٦] واتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة. [٧، جزء ١١، ص٦٢]

وفي إنجيل يوحنا ٤(١٩-٢) رواية تؤكد على عدم وجود قبلة لاهل الكتاب لاختلافهم وعصيانهم لأنبيائهم: "قالت له المرأة يا سيد أرى انك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه (في النسخة اليونانية وانتم تقولون أن مكان السجود في أورشليم حيث يحل السجود) قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه يأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب" [٣٢] [٣٣] والنصارى الآن معترفون بهذا النص ولكنهم يقولون أن المسيح تنبأ بنزع القبلة من المكانين إلى مكان قبلة النصارى وقالوا بذلك لاعتقادهم أن الخلاص هو من اليهود أي أن مخلص العالم ومنقذهم لابد وان يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل، والسؤال الآن: أين هي قبلة النصارى من بعد المسيح؟ يقول الارثودوكس والكاثوليك بأن القبلة هي جهة هيكل سليمان وهذا القول تكذبه الآثار القائمة للكنائس القديمة والمتوجهة إلى الشرق بشكل عام ويقول البروتستانت كل مكان هو قبلة وهذا يعني عدم وجود قبلة لهم كما في معابد الوثنيين ويقصد المسيح عليه السلام بأن جبل شكيم ليس بقبلة ولا جبل صهيون، بل ستكون قبلة في مكان آخر يقصد الكعبة. وان علماءهم يعلمون ذلك ولكنهم يخفونه يقول الله عز وجل في سورة البقرة ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾. [١، سورة البقرة، آية ١٤٤]

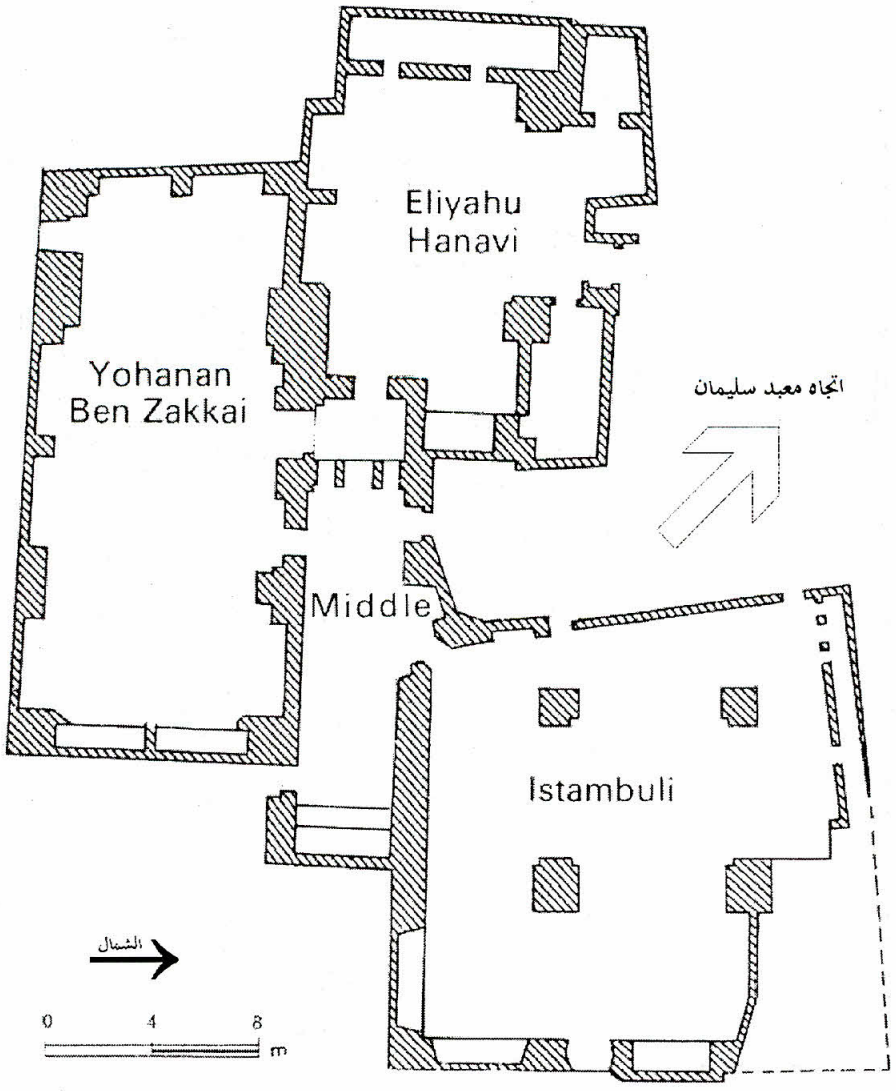
فإن السامرة من اليهود كانت قبلتهم تجاه طورهم بقرب بلدة نابلس من فلسطين (بلدة شكيم) بينما العبرانيون قبلتهم جبل صهيون منطقة البيت المقدس وفي الرواية السابقة نبأهم عيسى بالقبلة الصحيحة.

وأهل الكتاب لا يزالون على توجيه كنائسهم وبيعهم إلى الشرق والغرب ولا يزالون على ذلك حتى يومنا هذا إلا انه في بعض الكنائس في هذا العصر لم يعد يهتموا باتجاه الشرق فتبنى الكنيسة حسب قطعة الأرض المتاحة ووضعها المكاني بالنسبة للشارع ومن المخططات المعمارية نشاهد أن في بداية ظهور المسيحية قبل العهد البيزنطي استخدم المسيحيون المباني القائمة من بازليكا وغيرها مكان للعبادة وهو ما يفسر لنا عدم اتجاه الكنائس في تلك الفترة إلى الشرق ولكن عندما بنوا لاحقاً نجد أنها تتجه شرقاً و لم أجد أي كنيسة تتجه لبيت المقدس حتى الكاثيدرائيه التي في الفاتيكان مقر البابا بروما تتجه إلى الغرب بينما بيت المقدس إلى الجنوب الشرقي منه.

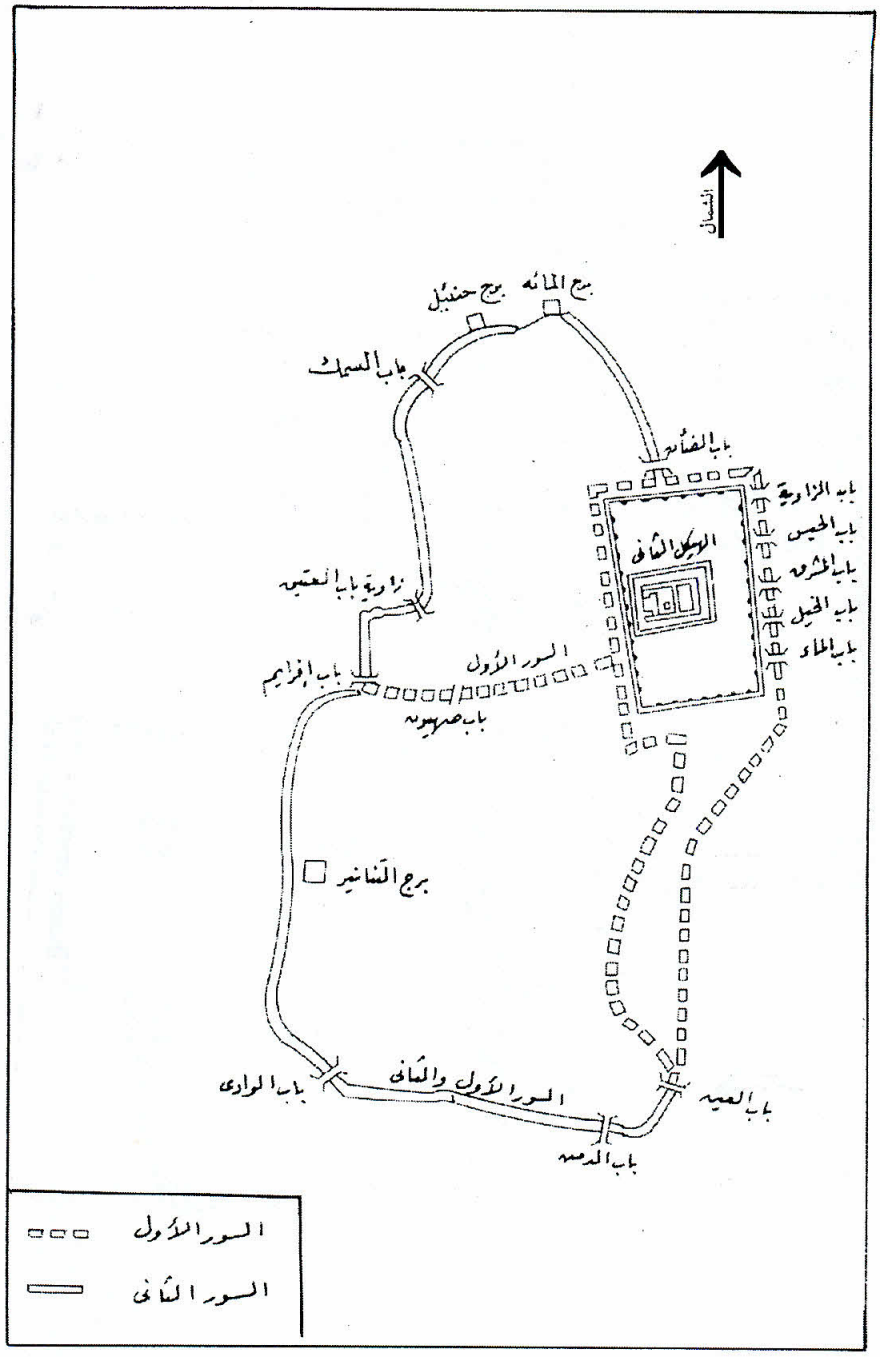


١- قدس الأقداس (المحراب)
٢- تابوت العهد المقدس (تابوت الشهادة)
٣، ٤- تمثالا الكروبيم يغطيان تابوت العهد
٥- المذبح الذهبي للقربان
٦- منضدة تحمل الشمعدانات السبعة
٧- منضدة مصنوعة من الذهب لخبز المقدمة
٨- البهو المقدس (القاعة الوسطى)
٩- باب يفصل قدس الأقداس عن القاعة الوسطى
أسدل عليه ستارة مطعمة بالأرجوان
١٠، ١١- على كل جانب خمس مذابح للمباخر والشموع من الذهب
١٢- قاعة المدخل وليس بها أثاث ديني معين
١٣- باب المعبد الخارجي
١٤- عامود من النحاس على الجانب الأيمن لباب المعبد ويسمى ياقين
١٥- عامود من النحاس على الجانب الأيسر لباب المعبد ويسمى بوعز
١٦، ١٧- سلالم تؤدي إلى الطابق العلوي حيث غرف الكهنة
وباقي مرافق الهيكل
١٨، ١٩- أحواض لغسل الذبائح خمس على اليمين وخمس على اليسار
لغسيل المحرقات
٢٠- مذبح من النحاس لتصعيد القرابين التي تحرق بالنار
٢١- بحر النحاس لكي يغتسل فيه الكهنة

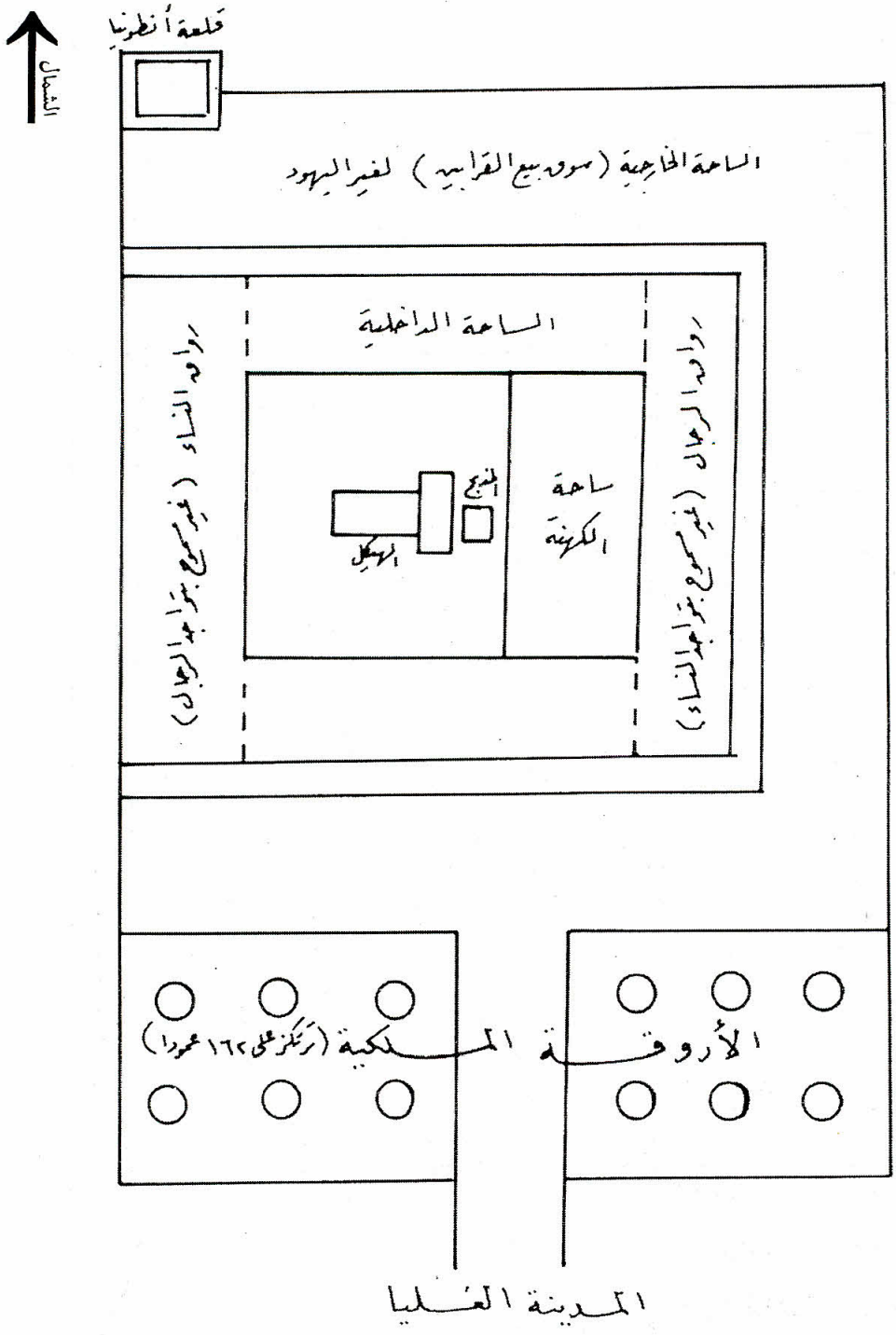
شكل ٩: مخطط لمعبد سليمان في القدس طبقا للوصف الوارد في العهد القديم يتوجه إلى الغرب حسب ما جاء في كتاب : القـــدس عربيـــة إسلامية. وبالرجوع إلى الإصحاح السادس من التوارة نجد إشارة واضحة انه يتوجه إلى الجنوب. [٣٠]



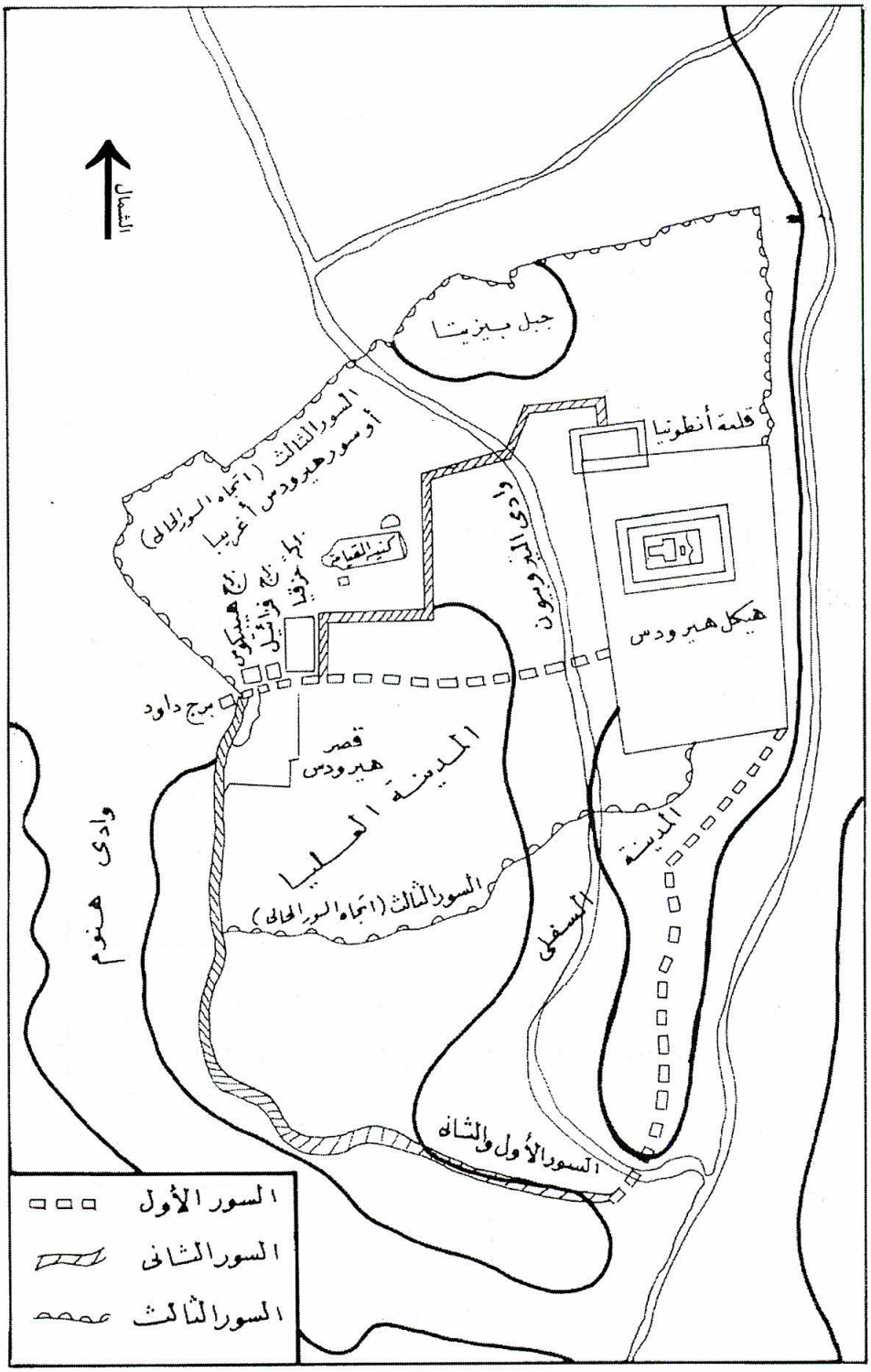
شكل ١٠: ثلاثة معابد يهودية لا تتوجه إلى معبد سليمان وهي في الجنوب الغربي منه في مدينة القدس فلو كان المعبد قبلة عند اليهود لاتجهت هذه المعابد إليه ولتوجهت إليها المعابد الحالية فلا يعقل أن لليهود قبلة ولا يتوجهون إليها. [٣١]



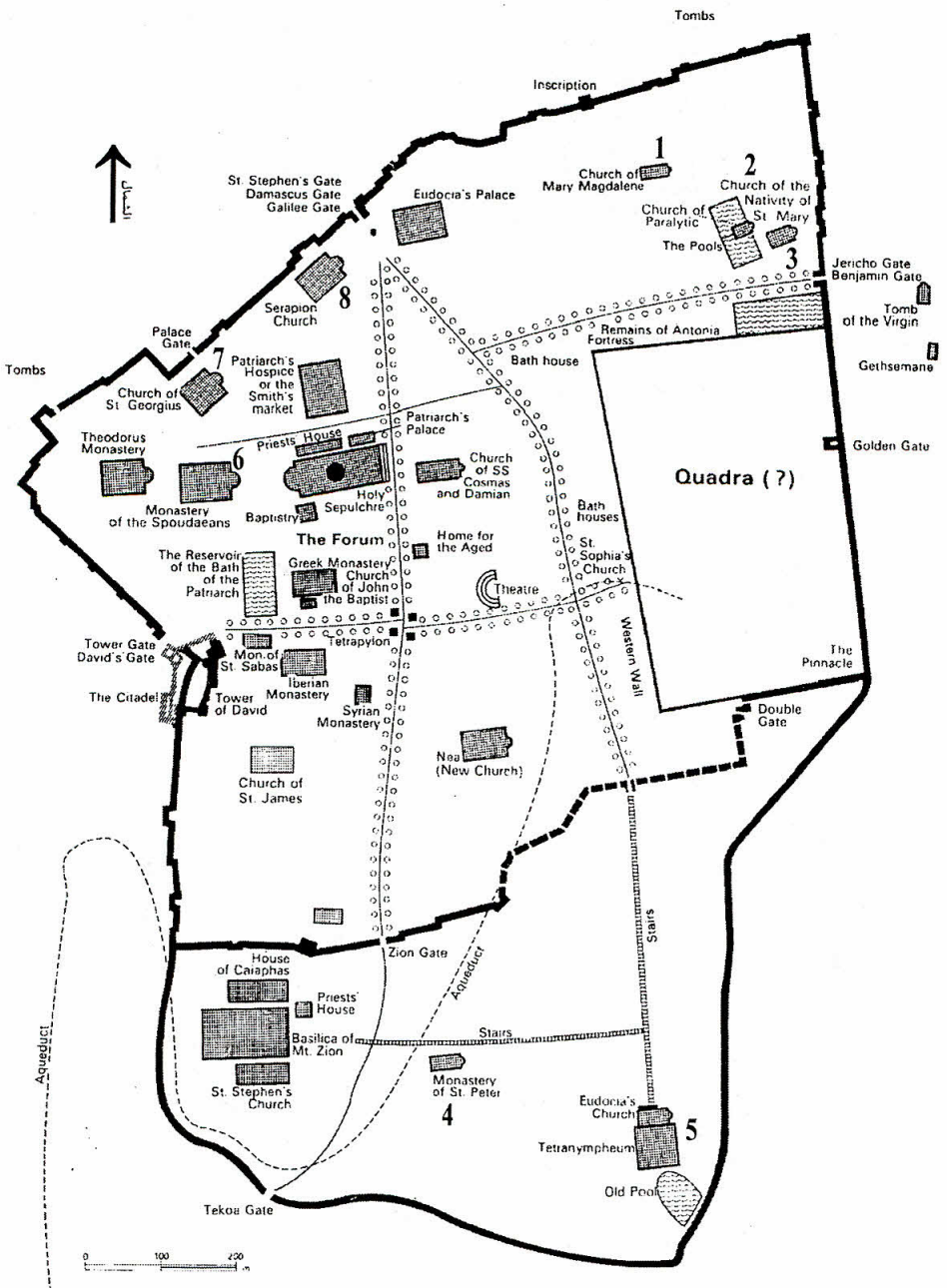
شكل ١١: تخطيط لمدينة القدس في العصر الروماني يوضح الهيكل الثاني متوجهاً إلى الغرب. [٣٠]



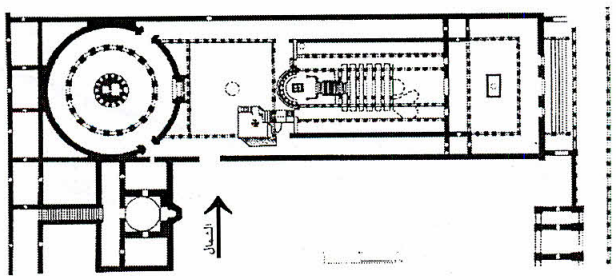
شكل ١٢: مخطط لهيكل هيردوس الكبير في القدس (٣٧– ٤ق. م) يتوجه إلى الغرب. [٣٠]



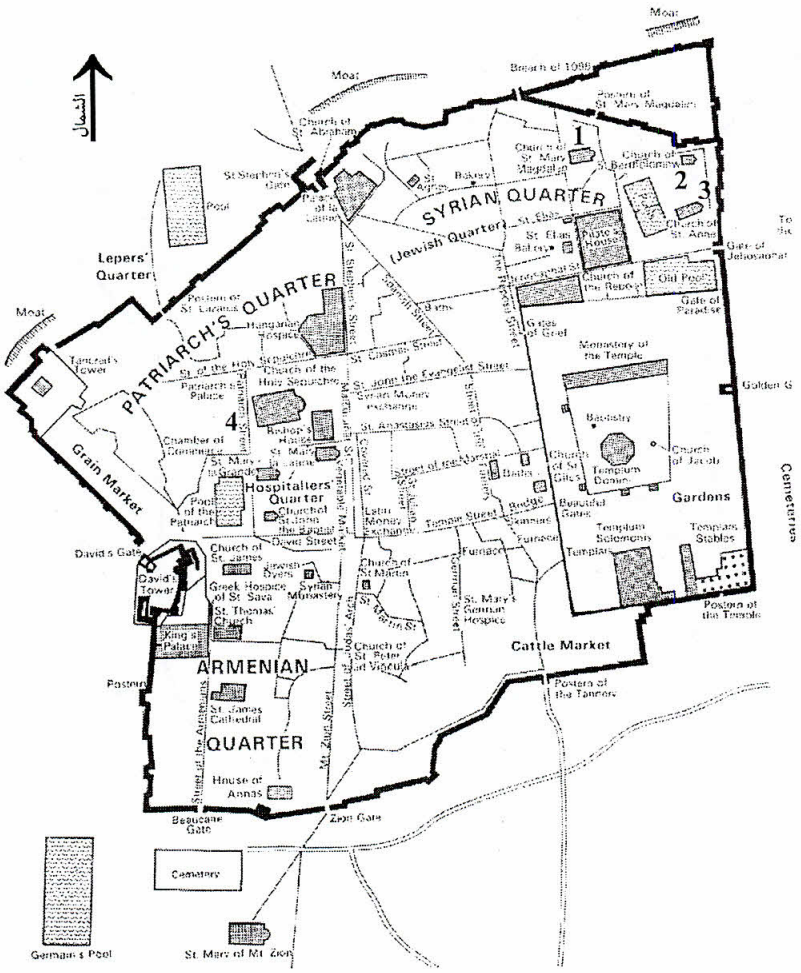
شكل ١٣: تخطيط لمدينة القدس قبل تدميرها عام ٧٠ م على يد تيتوس يوضح هيكل هيرودس يتوجه إلى الغرب. [٣٠]



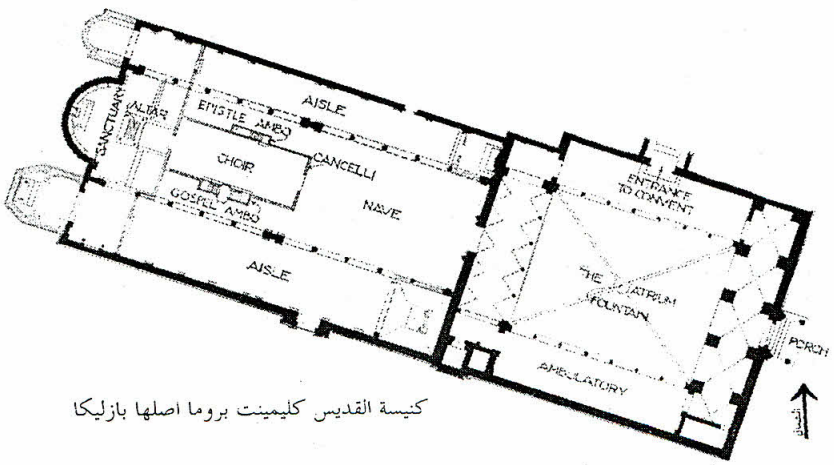
شكل ١٤: كنيسة القيامة (•) تتوجه إلى الغرب مع أن معبد سليمان على بعد عشرات الأمتار منه إلى الشرق وذلك في القرن الرابع. أنظر الكنائس شمال وجنوب المعبد تتجه جميعها إلى الشرق (1, 2, 3, 4, 5) والكنيستان (7, 8) تتجهان إلى الشمال الشرقي، فلو كان الهيكل قبلة لاتجهت إليه. [٣١]



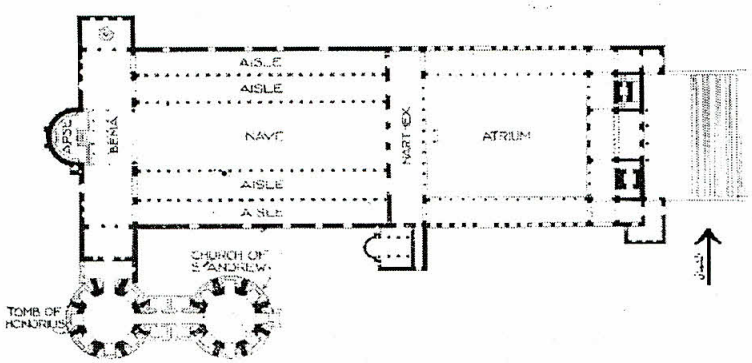
شكل ١٥: كنيسة القيامة في مدينة القدس والتي قامت على أنقاض معبد قديم تتجه إلى الغرب مع أن معبد سليمان على بعد عشرات الأمتار منه باتجاه الشرق. وهذا يدل دلالة واضحة لعدم أهمية القبلة لدى النصارى وسوف نرى لاحقاً أنه عندما أعيد بناء الكنيسة توجهت إلى الشرق. [٣١]



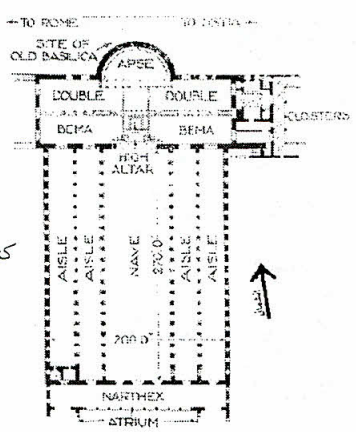
شكل ١٦: مخطط لمدينة القدس أثناء الحملات الصليبية ١٠٩٩ – ١١٨٧م يوضح عدم توجيه الكنائس للصخرة، أنظر الكنائس شمال الصخرة تتجه شرقاً (3 , 2 , 1) ولاحظ أيضا أن كنيسة القيامة ❹ أخذت وضع باتجاه الشرق بدلاً من الغرب. [٣١]



كنيسة القديس كليمينت بروما اصلها بازليكا

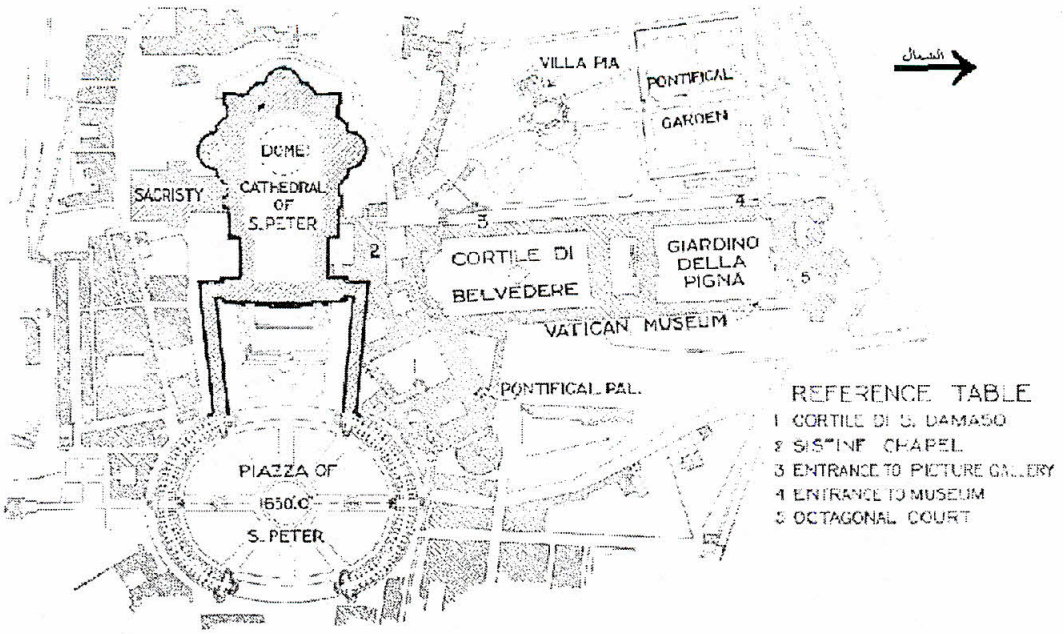


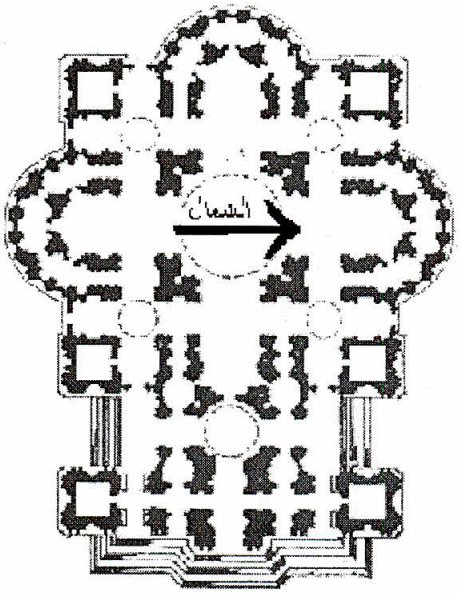
كنيسة القديس بيتر بروما



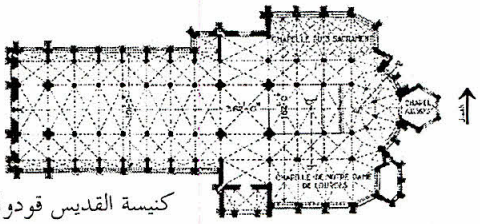
كنيسة القديس باولوفوري لي مورا بروما

شكل ١٧: اتخذ النصارى الأوائل البازليكا والتي كانت مباني قائمه ككنائس لذلك اتجهت وجوههم نحو الغرب أو الشمال حسب وضع البازليكا الأصلي وذلك عندما اظهر الإمبراطور قسطنطين المسيحية واتخذها دين الدولة حوالي ٣٣٠م ثم لاحقاً عندما بنى النصارى الكنائس وجهوها نحو الشرق بدلاً من القدس فلا يعقل أن يكون للنصارى قبلة ثم لا يتوجهون إليها.[٢٦]

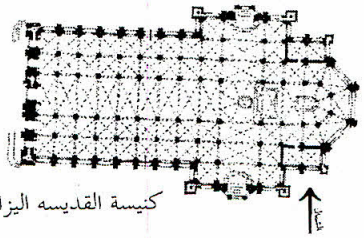




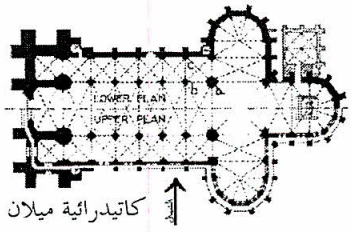
شكل ١٨: كنيسة القديس بيتر في الفاتيكان في روما (إيطاليا) تتجه إلى الغرب (أقيم على بازليكا رومانية) وهو مقر البابا ولو كان بيت المقدس قبله لهم لكان من الأحرى لهم أن تتوجه إلى جهة الجنوب الشرقي أي باتجاه بيت المقدس بدلاً من توجيهه الكنائس نحو الشرق. [٢٦]



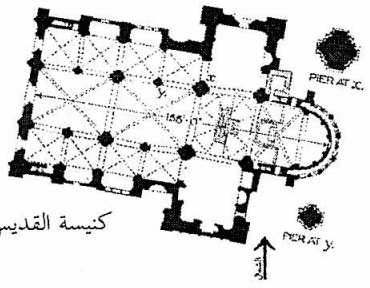
كنيسة القديس قودول – بروكسل



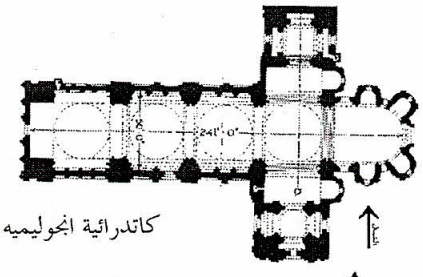
كنيسة القديسه اليزابيث – المانيا



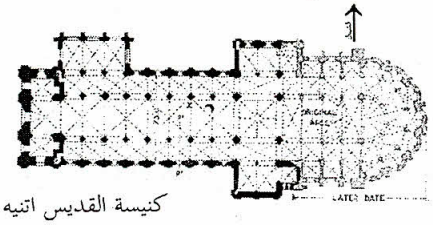
كاتيدرائية ميلان – ايطاليا



كنيسة القديس ميشيل – بافيا



كاتدرائية انجوليميه – فرنسا



كنيسة القديس اتنيه – فرنسا

شكل ١٩: تتجه الكاتدرائيات والكنائس التي بنيت بواسطة النصارى إلى الشرق بشكل عام في جميع أنحاء العام وليس إلى بيت المقدس. [٢٦]

تحويل القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس (القبلة الثانية: المؤقتة)

لم أجد في كتب التراث الإسلامي اتفاقاً على تحديد تأريخ تحويل القبلة من مكة إلى بيت المقدس ولكن العلماء على اتفاق إنها وقعت قبل الهجرة واتفقوا على أن أول نسخ حصل في القرآن هو شأن القبلة واتفقوا على سبب تحول القبلة الأولى إلى بيت المقدس ثم رجوع القبلة إلى الكعبة (القبلة الأولى).

وذكر القرطبي أقوال العلماء في حكم استقبال القبلة والذي عليه الجمهور (ابن عباس وغيره) انه وجب عليه ﷺ استقبال القبلة بأمر الله تعالى ووحيه. [٧] يروي الطبري من طريق أبي جريج قال : صلى النبي ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرفت إلى بيت المقدس وهو بمكة وصلى ثلاث حجج، وهاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجّهه الله إلى الكعبة.[٨، ص٣٦٥] وللسيد السمهودي خبر عن الربيع يقول: كان النبي ﷺ في ابتداء الهجرة مخيراً في التوجه إلى بيت المقدس أو الكعبة إلا انه أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس فكان التوجه إليه فرضاً. وقال ابن العربي وغيره: نسخت القبلة مرتين.[٨، ص ٣٦٤]

وأما سبب التحول كما ذكره أهل العلم أنه مع الوقت أخذت الكعبة أهمية في حياة العرب ولكي لا يتعلق في قلوبهم أي اثر من آثار الجاهلية أراد الله أن يصفي توجههم إليه كما يقول سيد قطب في ظلال القرآن والحديث التالي يوضح لنا شدة تعلقهم بالكعبة، فعن ابن إسحاق قال : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة أن أخاه عبيد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعب بن مالك وكان كعب ممن شهد العقبة بايع رسول الله ﷺ بها قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : ياهولاء إني قد رأيت والله رأياً وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا ؟ قال : قلنا له وما ذاك؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وألا أصلي إلا إليها فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه فقال : إني أصلي إليها فقلنا له : لكنا لا نفعل فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة قال أخي : وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال : يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجل من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال : هل تعرفانه؟ قال : قلنا : لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا : نعم قال : وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس : "هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل "قال : نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ "الشاعر" قال : نعم قال : فقال البراء بن معرور يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وهداني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، صليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : "لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها"

قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا. نحن أعلم به منهم.[٦، الحديث رقم ١٥٤٢٧] وتدل الرواية السابقة على أن التحول إلى بيت المقدس حصل قبل الهجرة وكذلك إشارة إلى أن هذه القبلة مؤقتة ورجوع القبلة كما كانت إلى الكعبة ولكن بعد حين. ولقد روى السمهودي أن البراء بن معرور مات قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة وأوصى أن يوجه إلى الكعبة وصلى رسول الله ﷺ على قبره.[٨، ص ٢٧، ٢٧١]

ومن انسب التفاسير في سبب تحول القبلة من الكعبة إلى القدس هو ما كتبه سيد قطب في ظلال القرآن في شرح الآية ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٤٣] ما نصه : "ومن هذا النص تتضح خطة التربية الربانية التي يأخذ الله بها هذه الجماعة الناشئة، التي يريد لها أن تكون الوارثة للعقيدة، المستخلفة في الأرض تحت راية العقيدة. إنه يريد لها أن تخلص له، وأن تتخلص من كل رواسب الجاهلية ووشائجها، وأن تتجرد من كل سماتها القديمة ومن كل رغائبها الدفينة، وأن تتعرى من كل رداء لبسته في الجاهلية، ومن كل شعار اتخذته، وأن ينفرد في حسها شعار الإسلام وحده لا يتلبس به شعار آخر، وأن يتوحد المصدر الذي تتلقى منه لا يشاركه مصدر آخر. ولما كان الاتجاه إلى البيت الحرام قد تلبست به في نفوس العرب فكرة أخرى غير فكرة العقيدة، وشابت عقيدة جدهم إبراهيم شوائب من الشرك، ومن عصبية الجنس، إذ كان البيت يعتبر في ذلك الحين بيت العرب المقدس والله يريده أن يكون بيت الله المقدس، لا يضاف إليه شعار آخر غير شعاره، ولا يتلبس بسمة أخرى غير سمته. لما كان الاتجاه إلى البيت الحرام قد تلبست به هذه السمة الأخرى، فقد صرف الله المسلمين عنه فترة، ووجهم إلى بيت المقدس، ليخلص مشاعرهم من ذلك التلبس القديم أولا، ثم ليختبر طاعتهم وتسليمهم للرسول - ﷺ - ثانياً: ويفرز الذين يتبعونه لأنه رسول الله، والذين يتبعونه لأنه أبقى على البيت الحرام قبلة ، فاستراحت نفوسهم إلى هذا الإبقاء تحت تأثير شعورهم بجنسهم وقومهم ومقدساتهم القديمة. إنها لفتة دقيقة شديدة الدقة ، إن العقيدة الإسلامية لا تطيق لها في القلب شريكا، ولا تقبل شعارا غير شعارها المفرد الصريح، إنها لا تقبل راسبا من رواسب الجاهلية في أية صورة من الصور، جل أم صغر. وهذا هو إيحاء ذلك النص القرآني: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٤٣] والله - سبحانه - يعلم كل ما يكون قبل أن يكون. ولكنه يريد أن يظهر المكنون من الناس ، حتى يحاسبهم عليه ، ويأخذهم به. فهو - لرحمته بهم - لا يحاسبهم على ما يعلمه من أمرهم، بل على ما يصدر عنهم ويقع بالفعل منهم. ولقد علم الله أن الانسلاخ من الرواسب الشعورية، والتجرد من كل سمة وكل شعار له بالنفس عُلقة، أمر شاق، ومحاولة عسيرة، إلا أن يبلغ الإيمان من القلب مبلغ الاستيلاء المطلق، وإلا أن يعين الله هذا القلب في محاولته فيصله به ويهديه إليه : ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾.[١، سورة البقرة، آية ١٤٣] فإذا كان الهدى فلا مشقة ولا عسر في أن تخلص النفس عنها تلك الشعارات، وأن تنفض عنها تلك الرواسب، وأن تتجرد لله تسمع منه وتطيع، حيثما وجهها الله تتجه، وحيثما قادها رسول الله تقاد. ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من

ربهم﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٤٤] إنهم ليعلمون أن المسجد الحرام هو بيت الله الأول الذي رفع قواعده إبراهيم، جد هذه الأمة الوارثة وجد المسلمين أجمعين. وإنهم ليعلمون أن الأمر بالتوجه إليه حق من عند الله لامرية فيه. ولكنهم مع هذا سيفعلون غير ما يوحيه هذا العلم الذي يعلمونه، فلا على المسلمين منهم، فالله هو الوكيل الكفيل برد مكرهم وكيدهم : ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾. [١، سورة البقرة، آية ١٤٤] ويستطرد بقوله إنهم لن يقتنعوا بدليل ، لأن الذي ينقصهم ليس هو الدليل، إنما هو الإخلاص والتجرد من الهوى، والاستعداد للتسليم بالحق حين يعلمونه : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ [١، سورة البقرة، آية ١٤٥] فهم في عناد يقوده الهوى، وتؤرثه المصلحة، ويحدوه الغرض، وإن كثيرا من طيّبي القلوب ليظنون أن الذي يصد اليهود والنصارى عن الإسلام أنهم لا يعرفونه، أو لأنه لم يقدم إليهم في صورة مقنعة، وهذا وهم، إنهم لا يريدون الإسلام لأنهم يعرفونه، فهم يخشونه على مصالحهم وعلى سلطانهم ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد الناصب الذي لا يفتر بشتى الطرق وشتى الوسائل، عن طريق مباشر وعن طرق أخرى غير مباشرة. يحاربونه وجها لوجه ويحاربونه من وراء ستار ويحاربونه بأنفسهم ويستهوون من أهله من يحاربه لهم تحت أي ستار وهم دائما عند قول الله تعالى لنبيه الكريم : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾. [١، سورة البقرة، آية ١٤٥][٣٤، ص ١٨٦-١٩٠]

وتؤيد الروايات التالية أن القبلة تحولت من الكعبة إلى بيت المقدس فعن ابن عباس عند عطاء الخرساني قال : أول ما نسخ من القرآن شأن : القبلة، قال الله تعالى ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [١، سورة البقرة، آية ١١٥] قال فصلى رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق. وهو مذهب قتاده. [٣٥، جزء١، ص١٥٧]

وفي بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني : واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالي في أن استقبال بيت المقدس هل كان ثابتا بالقرآن أم باجتهاد النبي ﷺ فحكى الماوردي في الحاوي وجهين في ذلك لأصحابنا، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى الذي ذهب إليه اكثر العلماء انه كان بسنة لا بقرآن فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال أن القرآن ينسخ بالسنه وهو قول اكثر الأصوليين المتآخرين وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله تعالى والقول الثاني له لا يجوز وبه قالت طائفة لان السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها؟ وهولاء يقولون لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة بل كان بوحي قال الله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾. [١، سورة البقرة، آية ١٤٣]، [٢٣، ص١١٨]

وفي تفسير ابن كثير قال ابن عباس : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ﷺ ، لما هاجر إلى المدينة وكان اكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود، فأستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم. [٣٥]

وفي تفسير روح البيان : ﴿وما جعلنا القبلة﴾ مفعول أول لجعلنا ﴿التي كنت عليها﴾ مفعول ثان له بتقدير موصوفي أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأنه عليه السلام كان مأمورا بان يصلى إلى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر

أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس التي فيها يصعد الملائكة إلى السماء ثم أعيد إلى ما كان عليه أولاً ويقول أيضا في شرح ﴿وان كانت﴾ أي القبلة المحولة ﴿لكبيرة﴾ أي شاقة وثقيلة على من يألف التوجه إلى القبلة المنسوخة.[٩]

وذكر القرطبي اختلاف العلماء في استقبال بيت المقدس على ثلاثة أقوال، الأول: قول الحسن : كان ذلك منه عن رأي واجتهاد وقاله عكرمة وأبو العالية، الثاني : انه كان مخيراً بينه وبين الكعبة، فأختار القدس طمعاً في إيمان اليهود واستمالتهم، قاله الطبري وقال الزجاج : امتحاناً للمشركين لأنهم ألفوا الكعبة. الثالث : وهو الذي عليه الجمهور : ابن عباس وغيره، وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووحيه لا محالة، ثم نسخ الله ذلك وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة واستدلوا بقوله تعالى :﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾.[١، سورة البقرة، آية ١٤٣]، [٧، جزء٢، ص١٠٢]

وقال آخرون : أول ما فرضت الصلاة عليه إلى الكعبة و لم يزل يصلى إليها طول مقامه بمكة على ما كانت عليه صلاة إبراهيم وإسماعيل فلما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً على الخلاف، ثم صرفه الله إلى الكعبة قال أبو عمر : وهذا اصح القولين عندي. قال غيره : وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أراد أن يستألف اليهود فتوجه إلى قبلتهم ليكون ذلك ادعى لهم، فلما تبين عنادهم وايس منهم احب أن يحول إلى الكعبة فكان ينظر إلى السماء، وكانت محبته إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم، عن ابن عباس. وقيل لأنها كانت ادعى للعرب إلى الإسلام وقيل: مخالفة لليهود، عن مجاهد. وروى عن أبى العاليه/الرياحي انه قال : كانت مسجد صالح عليه السلام وقبلته إلى الكعبة قال: وكان موسى عليه السلام يصلي إلى الصخرة نحو الكعبة، وهي قبلة الأنبياء كلهم صلوات الله عليهم أجمعين.[٧، ص١٠٢]

ورواية أبي سعيد الخدري رضى الله عنه يوضح حقيقة التحول في القبلة قال : سألت عبد الله ابن سلام عن الأثر الذي في المقام فقال : كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل المقام آية من آياته فلما أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قام على المقام فأرتفع المقام حتى صار أطول الجبال واشرف على ما تحته فقال : يا أيها الناس أجيبوا ربكم فأجابه الناس فقالوا : لبيك اللهم لبيك، فكان اثر قدميه فيه لما أراد الله سبحانه، فكان ينظر عن يمينه وعن شماله ويقول : أجيبوا ربكم فلما فرغ أمر المقام فوضعه قبلة فكان يصلي إليه مستقبل الباب فهو قبلة إلى ما شاء الله ثم كان إسماعيل بعد يصلي إليه إلى باب الكعبة ثم كان رسول الله ﷺ فأُمر أن يصلي إلى بيت المقدس فصلى إليه قبل أن يهاجر وبعد ما هاجر ثم احب الله تعالى أن يصرفه إلى قبلته التي رضى لنفسه ولأنبيائه عليهم السلام قال : فصلى إلى الميزاب وهو بالمدينة ثم قدم مكة فكان يصلي إلى المقام ما كان بمكة.[١٣، ص٣٠، ٣١] وهذه الرواية تبين أن الكعبة كانت القبلة الأولى من زمن إبراهيم عليه السلام إلى زمن رسول الله ﷺ. يقول القرطبي رحمه الله في قوله تعالي ﴿وان الذين أوتوا الكتاب﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٤٤] يريد اليهود والنصارى ﴿ليعلمون انه الحق من ربهم﴾[١، سورة البقرة، آيه ١٤٤] يعني تحويل القبلة من بيت المقدس،

وفي قوله ﴿الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٤٦] يورد قول ابن عباس وابن جريج والربيع وقتادة: أن ﴿يعرفون﴾ تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة انه حق، وفي قوله ﴿وان فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ أن القول الآخر هو استقبال الكعبة وقوله تعالى ﴿وهم يعلمون الحق من ربك﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٤٧] يعني استقبال الكعبة لا ما أخبرك اليهود من قبلتهم، وفي تفسير ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٥٠] والذي اختاره الطبري قال : نفى الله أن يكون لأحد حجة على النبي ﷺ وأصحابه في استقبال الكعبة والمعنى لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداحضة. حيث قالوا : ما ولاهم وتحير محمد في دينه وما توجه إلى قبلتنا إلا أنا كنا أهدى منه وغير ذلك من الأقوال التي لم تنبعث إلا من عابد وثن أو يهودي أو منافق، ولقد روى معناه ابن عباس وغيره. ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾ [١، سورة البقرة، آيه ١٥٠] ولأتم نعمتي عليكم أي عرّفتكم قبلتي قاله الزجاج وإتمام النعمة الهداية إلى القبلة. [٧، ص١٠٦-١١٥]

واختلف العلماء في تحديد الزمن الذي وقع فيه الإسراء والمعراج فجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة وجرى عليه الأمام النووي وبالغ ابن حزم فنقل فيه الإجماع وقال القاضي: قبل الهجرة بخمس سنين لأنه لا خلاف أن خديجة رضي الله عنها صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف إنما توفيت قبل الهجرة. [١١، ص٦٥] واتفق العلماء على أن أول صلاة فرضت في مكة المكرمة بعد الإسراء والمعراج هي صلاة الظهر ولقد أم جبريل عليه السلام النبي ﷺ، واتفقوا على أن تلك الصلاة وقعت عند باب البيت فكانت فرضاً عليه لأنه أمر بذلك فكانت صلاة النبي ﷺ صلاة مفترض خلف مفترض قاله ابن المنير. [١١، ص١٧٩] وبذلك تكون أول صلاة مكتوبة تجاه الكعبة لأنه في هذه الحالة عندما يصلى النبي عند باب الكعبة يكون باتجاه الغرب بينما بيت المقدس باتجاه الشمال.

بناء بيت المقدس (المسجد الأقصى)

وهو ثاني مسجد على الأرض بناه يعقوب عليه السلام ثم جدده داود عليه السلام وأتمه سليمان عليه السلام. وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت وكم بينهما ؟ قال: أربعون عاماً، ثم قال فأين أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه رواه البخاري ومسلم والنسائي. [٥] وهذا يدل على أن ما قام به يعقوب عليه السلام وأبناؤه وأحفاده إنما هو إعادة البناء كما سيأتي لاحقاً.

ولقد ورد في التوراة عن نمط العمارة الذي بناه النبي سليمان " والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت وعرضه عشرة أذرع قدام البيت وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبكة، وبنى مع حائط البيت طباق حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب، وعمل فراغات في مستديرها، فالطبقة السفلى عرضها خمسة أذرع والوسطى عرضها ستة أذرع والثالثة عرضها سبعة أذرع، لأنه جعل للبيت حواليه أخصاما لئلا تتمكن الجوائر في

حيطان البيت ... والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقتلعة، و لم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد وكان باب الغرفة الوسطى في جانب البيت الأيمن، وكانوا يصعدون بدرج منعطف إلى الوسطى ومن الوسطى إلى الثالثة فبني البيت وأكمله وسقف البيت بألواح وجوائر من الأرز (الإصحاح السادس) [٣٢] "وسوف يأتي لاحقاً التعليق على عدم سماع صوت أدوات البناء عند شرح آية ﴿والشياطين كل بناء﴾. والشاهد أن باب الغرفة الوسطى في جانب البيت الأيمن واليمين عند العرب هو الجنوب وهذا دليل قاطع على أن المبنى كان يتجه جنوباً. وكذلك وجود محراب والمحراب لابد له من اتجاه.

والصخرة في الحرم المقدس طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧ مترا وعرضها من الشرق آلي الغرب ١٣,٥٠ مترا وارتفاعها من الأرض يتراوح بين متر ومترين وقد أحيطت هذه الصخرة بحاجز خشبي حفر حفرا فنيا رائعا وروى عن النبي ﷺ أنه قال "صليت ليلة أسرى بي إلى بيت المقدس يمين الصخرة "وفي حديث آخر" صخرة بيت المقدس من صخور الجنة." [١٠، ص١٦٠]

وعن كعب –رضى الله عنه – قال : بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على أساس قديم. كما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة على أساس قديم، ثم قال : والأساس القديم الذي كان لبيت المقدس أسسه سام بن نوح – عليه السلام – ثم بنى داود وسليمان عليهما السلام على ذلك الأساس. ولقد وصف رسول الله ﷺ المسجد الأقصى لكفار قريش بالتفصيل عندما كذبوه في قصة الإسراء والمعراج فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ : (لما كان ليلة أسرى بي، فأصبحت بمكة، قطعت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي. فقعد رسول الله ﷺ معتزلا حزيناً، فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه ،فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ قال: نعم ! قال : وما هو؟ قال: أني أسري بي الليلة. قال إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس أنعت حتى التبس على بعض النعت فجئ بالمسجد وأنا انظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وأنا انظر إليه قال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب[٤، ص١١٨] وهذا الحديث يدل على وجود المسجد الأقصى زمن النبي ﷺ.

وأيضاً ما ذكره محمد ابن ناصر الحافظ: حدثنا أبو بكر احمد ابن على ابن العلبي الزاهد، أنبأنا أبو يعلى ابن الفراء، أنبانا ابن عيسى ابن عبد الله السراج، أنبانا البغوى، حدثنا محمد ابن حميد، حدثنا أبو نميلة، حدثنا الزبير ابن جنادة عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ : لما انتهى به جبريل إلى بيت المقدس فنزل عن البراق فأراد أن يشده فقال جبريل بإصبعه، فثقب الحجارة فشده.[٤، ص١١٩] وهذا يدل على وجود المسجد وبقائه إلى زمن النبي ﷺ.

وفى سنة خمس عشرة من الهجرة أمر عمر ابن الخطاب عمرو ابن العاص لمناجزة صاحب ايلياء، فنزل عمرو على الروم وهم في حصونهم وعليهم الارطبون وكان أدهى الروم وأبعدهم غورا، وكان قد وضع بالرملة جندا عظيما وبايلياء جندا عظيما، وأقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شيء، ثم اقبلوا على اجنادين فانهزم ارطبون فأوى إلى ايلياء، وكتب إليه ارطبون لا تتعب فإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف فعلم انه عمر، فكتب إليه عمرو يعلمه بأن الفتح يذخر له، فنادى في الناس وخرج حتى نزل الجابية، فقال له يهودي: والله لا ترجع حتى تفتح إيلياء، فصالحوه على الجزية وفتحوها له فانتهى إلى بيت المقدس ودخل المسجد ومضى

إلى محراب داود فقرأ سجدة داود وسجد[٤، ص١٢٢] وهذه الرواية تدل على أن محراب داود كان باتجاه الكعبة وذلك لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين ويقتدي به لا يسجد إلا إلى الكعبة، وفي الروايات السابقة انه قال اصلي حيث صلى رسول الله يعني متوجهاً للكعبة.

وأورد ابن كثير في بعض الأخبار أن داود عليه السلام لم يكن هو الذي شرع ببناء بيت المقدس "المسجد" ولا سليمان عليه السلام كان أول بانيه كما يقول معظم المؤرخين، وإنما كان أول من بنى بيت المقدس هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام فقد رووا أن يعقوب عليه السلام حين لحق أخاه (اليعص) وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال "ساعير"مر "بساحور" فابتنى له بيتا ولدوابه ظلالا، ثم مر على أورشليم قرية "شخيم" بن جمور فنزل قبل القرية، واشترى مزرعة "شخيم" بن جمور بمائه لفحة، فضرب هنالك فسطاطه، سماه "ايل اله إسرائيل" وهو بيت المقدس والذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام، وهو مكان الصخرة التي اعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك. [٢٨]

وفي الروايات التي ذكرت في بناء بيت المقدس ما ذكره الرسول في تفسير آية : ﴿والشياطين كل بناء﴾ [١، سورة ص، آية ٣٧]، ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾، [١، سورة سبأ، آية ١٣] ويبنون له الأبنية الرفيعة بدمشق واليمن ومن بنائهم بيت المقدس. وربما يفسر لنا ما ورد سابقا في التوراة في الإصحاح السادس بأنه لم يسمع عند بناء بيت المقدس منحت ولا معول ولا أداة من حديد.

ويقول صاحب الأنس الجليل " يحتمل أن يكون الذي بنى المسجد الأقصى الملائكة أولا ثم جدده آدم عليه السلام، ثم سام بن نوح عليهما السلام، فإن كل نبي منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل أن يجدد فيها البناء ". [١٠، ص١٥٠]

قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على أساس قديم كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم. والأساس القديم الذي كان لبيت المقدس أسسه سام بن نوح عليه السلام ثم بنى داود وسليمان عليهما السلام على ذلك الأساس. [١٦، ص ٣٩٦] وهذا التفسير هو الأقرب وحديث رسول الله ﷺ والذي فيه أن بناء بيت المقدس كان بعد بناء الكعبة بأربعين سنة وبين إبراهيم وداود عليهما السلام أكثر من ذلك.

ويروي ابن الجوزي يقول قال علماء السير : كان بيت المقدس قد خرب حتى صار كالمزابل فأمر الله تعالى سليمان ببنائه وذلك لأربع سنين خلت من ملكه فبناه في سبع سنين، ومن هبوط آدم إلى بناء سليمان بيت المقدس أربعة آلاف وأربعة مائة وست وسبعون وعن كعب قال : أن الله عز وجل أوحى إلى سليمان أن أبني بيت المقدس، فجمع الحكماء الأنس وعفاريت الجن وعظماء الشياطين ثم فرق الشياطين فجعل منهم فريقاً يبنون، ففريقاً يقطعون الصخر وفريقاً يقطعون القنا والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان الدرة مثل بيضة النعام وبيضة الدجاج واخذ في بناء المسجد.[٤، ص ٧٨] وربما يفسر لنا هذا أيضاً عدم سماع الأصوات عند البناء، كما مر سابقاً. لقد تنبأ عيسى عليه السلام بهدم المبنى ففي الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى : "ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم انه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض." [٣٢]

مسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ

ترجع بدايات هذا المسجد المبارك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، الذي أمر ببناء مسجد في الحرم القدسي غير بعيد عن موضع الصخرة وهناك من يقول إن مسجد عمر أقيم في جزء من معبد روماني قديم ينسب إلى هيرود الإمبراطور، ويذهب "كرسويل" إلى أن هذا المسجد الأول كان يقوم في جناح من ذلك المعبد.[١٠، ص ١٤٨]

ويقع هذا المسجد في الجهة الجنوبية من رقعة الحرم الشريف ويضم كل ما أحاط به سوره العظيم وما ترك في السور من بوابات، وذلك حسبما يقوله "الشيخ عبد الحميد السائح" وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية السابق بالأردن وهو يستند إلى الأدلة الآتية:

- ما ورد في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ حين أخبر قومه بالإسراء ، واستنكروه أرادوا أن يمتحنوه بالاستيضاح عن صفة المسجد، فأخذ يصفه لهم ويعد أبوابه باباً باباً، وقد كانوا يعرفونه فتحققوا صحة الوصف.
- ما جاء في كتاب: بلدانية فلسطين العربية أ. س. مرمرجي الدومينكي، أحد أساتذة المعهد الكتابي والآثار في القدس الشريف. وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق (أن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة الجامع المبني في صدر المسجد الذي فيه المنبر، والمحراب الكبير، وحقيقة الحال أن الأقصى، اسم لجميع المسجد، مما دار عليه السور).
- الفتوى الدينية التي أصدرها علماء المسلمين في الضفة الغربية عام ١٩٦٧م، وصرحوا فيها بذلك أيضا إستناداً إلى نصوص دينية وتاريخية موثوقة.
- تأييد مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف لهذه الفتوى في مؤتمر انعقد سنة ١٩٦٨م.

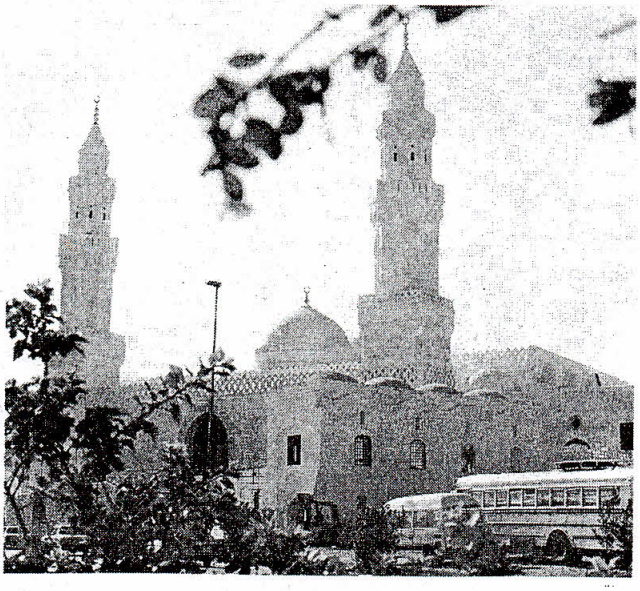
ولذلك فإن أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" لما جاء إلى القدس عام ١٥هـ فتح القدس، استشار كعب الأحبار أين يضع المسجد؟ فقال له كعب: اجعله وراء الصخرة، فقال له : ضاهيت اليهود يا كعب، بل تجعله صدر المسجد، وهو ما يعرف اليوم بالمسجد العمرى، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك واستعمل أهل الأردن نقل بقيتها وكان الروم قد جعلوا الصخرة "مزبلة" للقمامة وحين جاء عبد الملك بن مروان وبني مسجدين جديدين : المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ضم السور الخارجي معهما جامع عمر أيضاً والساحة الكبيرة وجميع الملحقات التي أضيفت فيما بعد ومن هنا نرى أن إطلاق اسم المسجد الأقصى المعروف الآن فقط هو اصطلاح مستحدث قصد به تصرف اليهود في باقي أجزاء المساجد الأخرى والأفنية التي تقع داخل السور فجميع المؤرخين والعلماء إنما أطلقوا "المسجد الأقصى" على جميع المنشآت الإسلامية التي يحتضنها السور الكبير وما فيه من بوابات وهو الذي كان معروفا عند الإسراء والمعراج.[١٠، ص١٤٨-١٥٠]

ومن ابرز المعالم التي تميزّ الحرم الإسلامي الشريف انه مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة على خلاف مخطط هيكل سليمان الذي يزعم اليهود انه يتجه إلى الغرب كما في المخططات التي أوردتها في هذا البحث ولقد مّر علينا النص الواضح في التوارة (الإصحاح السادس) والذي يذكر أن الباب المؤدي إلى الغرف الثالثة كان باتجاه الجنوب.

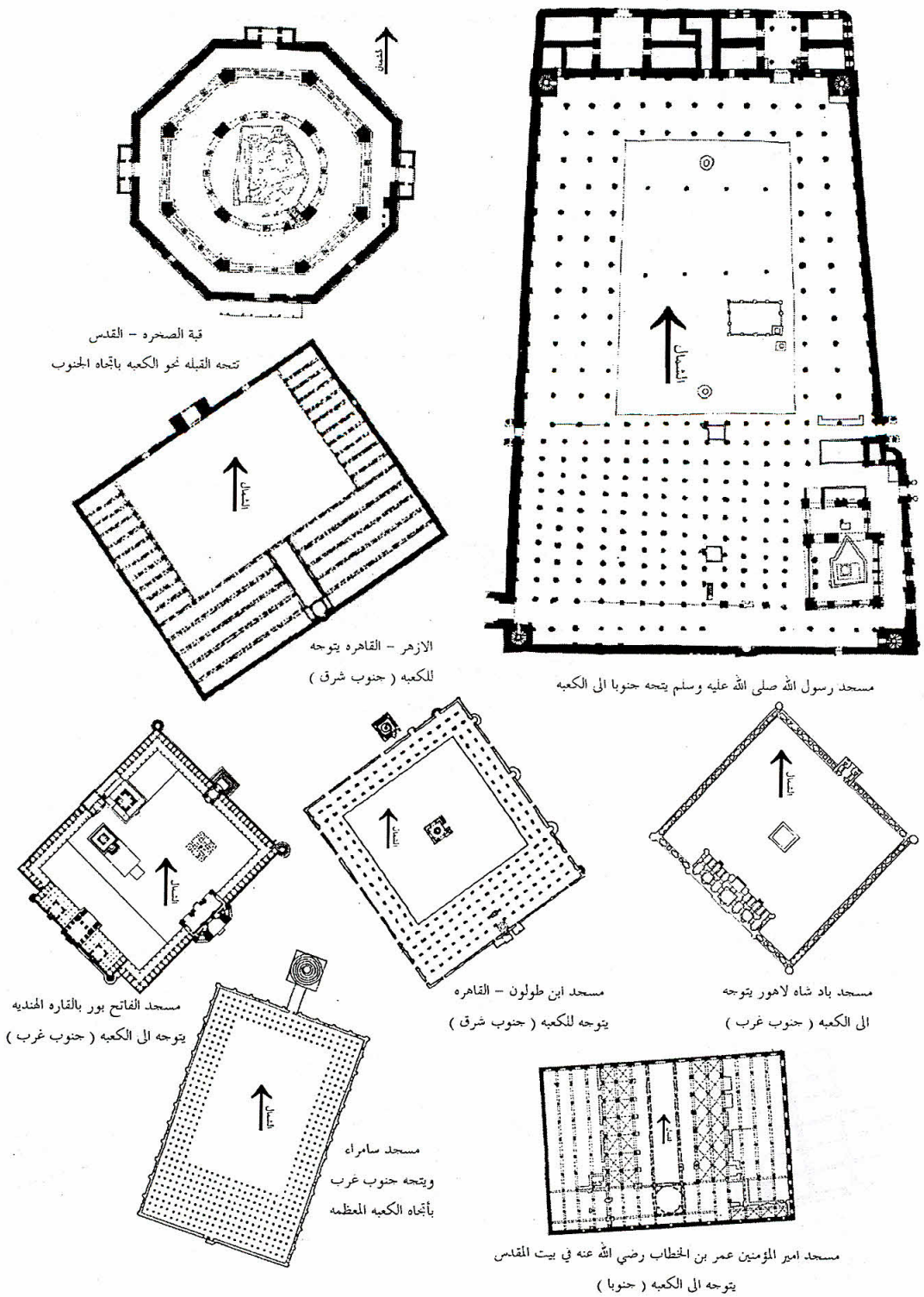
تحويل القبلة من بيت المقدس (القبلة الثانية) إلى القبلة الأولى

يقول اغلب المفسرين لكتاب الله أن أمر الله لرسوله بتغيير القبلة إلى بيت المقدس إنما ليكون اقرب إلى تصديق اليهود إياه والذي كانوا في المدينة المنورة وذلك إذا صلى رسول الله ﷺ إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة فصلى إلى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان الرسول ﷺ يعجبه قبلة أبيه إبراهيم وكان ينتظر تحول القبلة إليها عندما نزلت الآية الكريمة يأمره فيها الله عز وجل بالتحول إلى الكعبة وهذا الحدث مثبت في القرآن والسنة المطهرة وكتب السير وله شاهد إلى يومنا هذا وهو مسجد القبلتين في مدينة رسول الله ﷺ حصل هذا في نصف رجب من السنة الثانية من الهجرة ويروى ذلك لنا البخاري رحمه الله بقوله: حدثنا يحي حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : " لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر ثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال : هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر [١٩](شكل ٢٠).

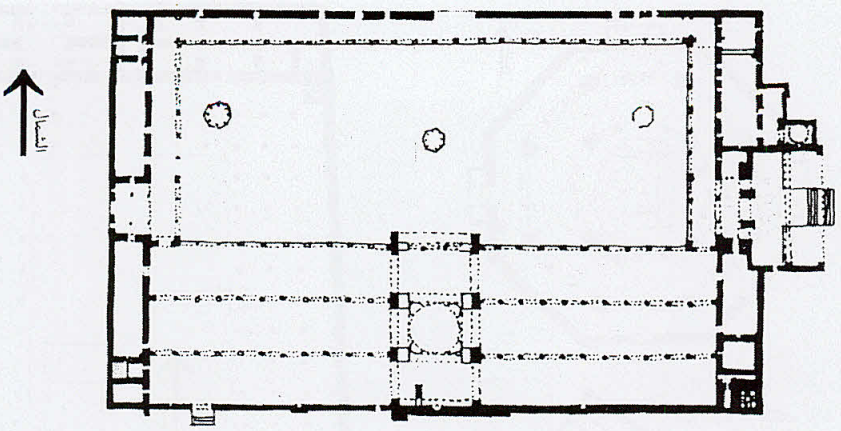
روى البخاري وأحمد رحمهما الله: قال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ "وددت أن ربي عز وجل صرفني عن قبلة اليهود إلى قبلة آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب"[٦، ص١١٥] وهذا الحديث يدل على أن قبلة الأنبياء الأولى هي الكعبة وان أهل الكتاب ضلوا عنها، ولقد مر سابقا في حديث فتح مكة قول رسول الله ﷺ عندما أشار إلى الكعبة وقال: هذه هي القبلة. وستبقى بأذن الله إلى أن تقوم الساعة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم والحمد لله (شكل ٢١-٢٣).



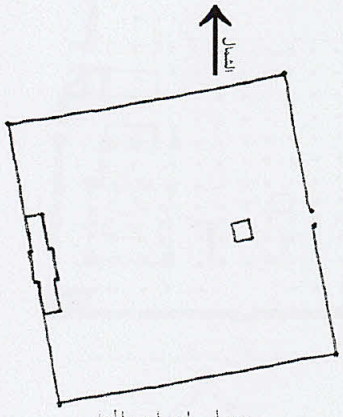
شكل ٢٠: مسجد القبلتين بالمدينة المنورة.



شكل ٢١: لكل مسجد قبله وقبلة جميع المساجد تتجه إلى الكعبة. [٣٦]

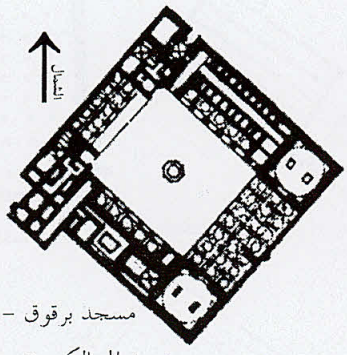


المسجد الاموي في دمشق يتوجهه جنوبا الى الكعبه



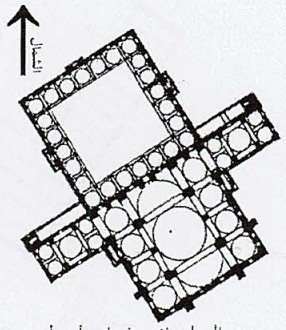
مصلى اجرا – الهند

يتوجه الى الكعبه (جنوب غرب)



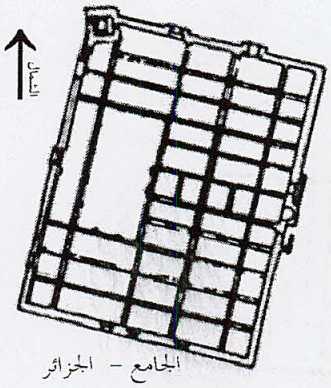
مسجد برقوق – القاهره

يتوجه الى الكعبه (جنوب شرق)



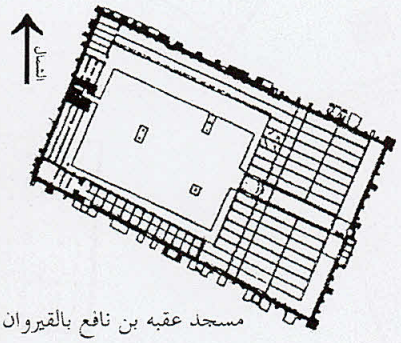
مسجد السليمانيه في اسطنبول

يتوجه الى الكعبه (جنوب شرق)



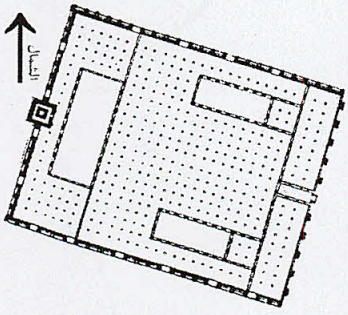
الجامع – الجزائر

يتوجه جنوب شرق



مسجد عقبه بن نافع بالقيروان

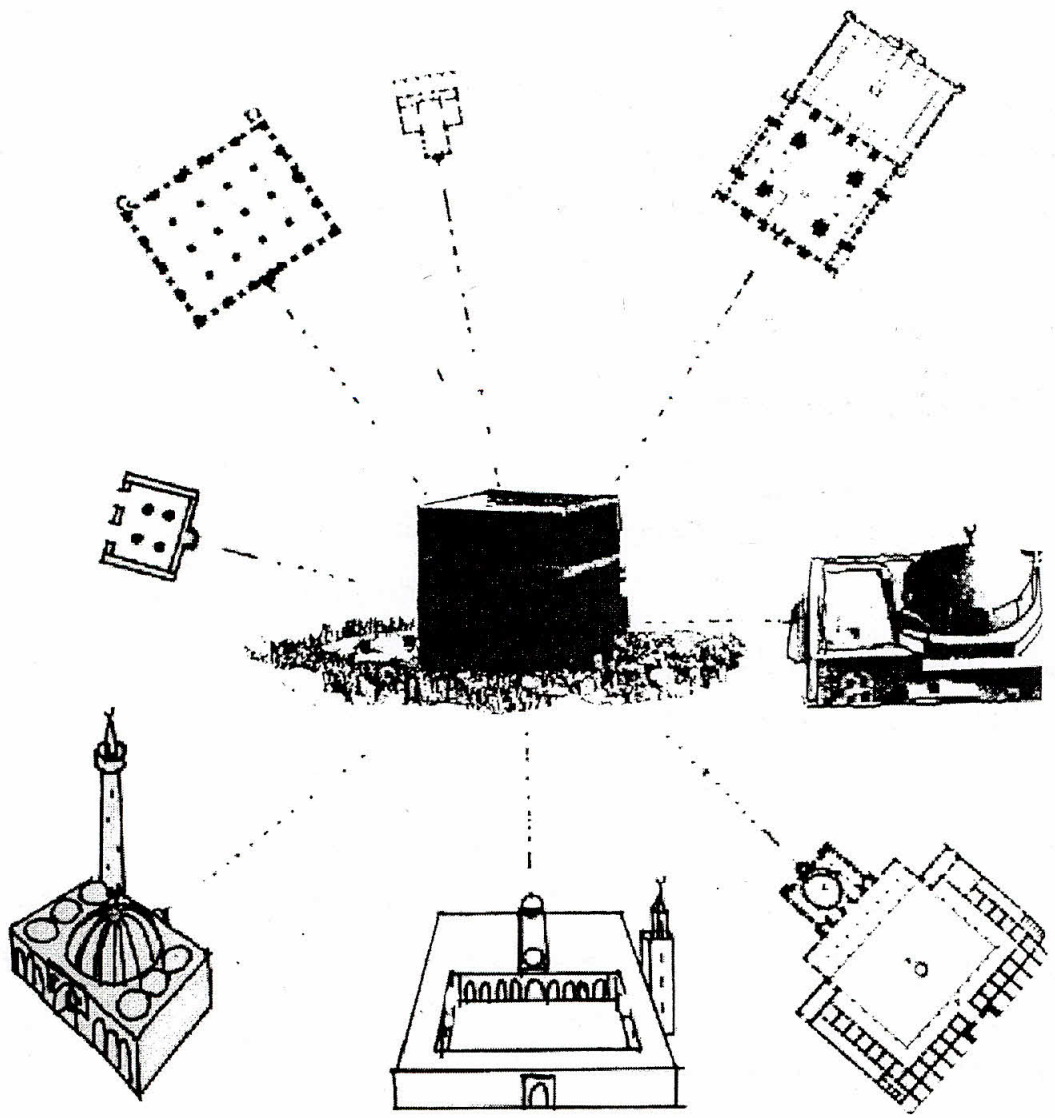
يتوجه جنوب شرق



مسجد الحسن – الرباط

يتوجه جنوب شرق

شكل ٢٢: المساجد في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها ويمينها تتجه إلى الكعبة. [٣٦]



شكل ٢٣ :القبلة (الكعبة) تتجه إليها جميع المساجد ووجوه المصلين في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها ويمينها. [٣٦]

الخلاصة

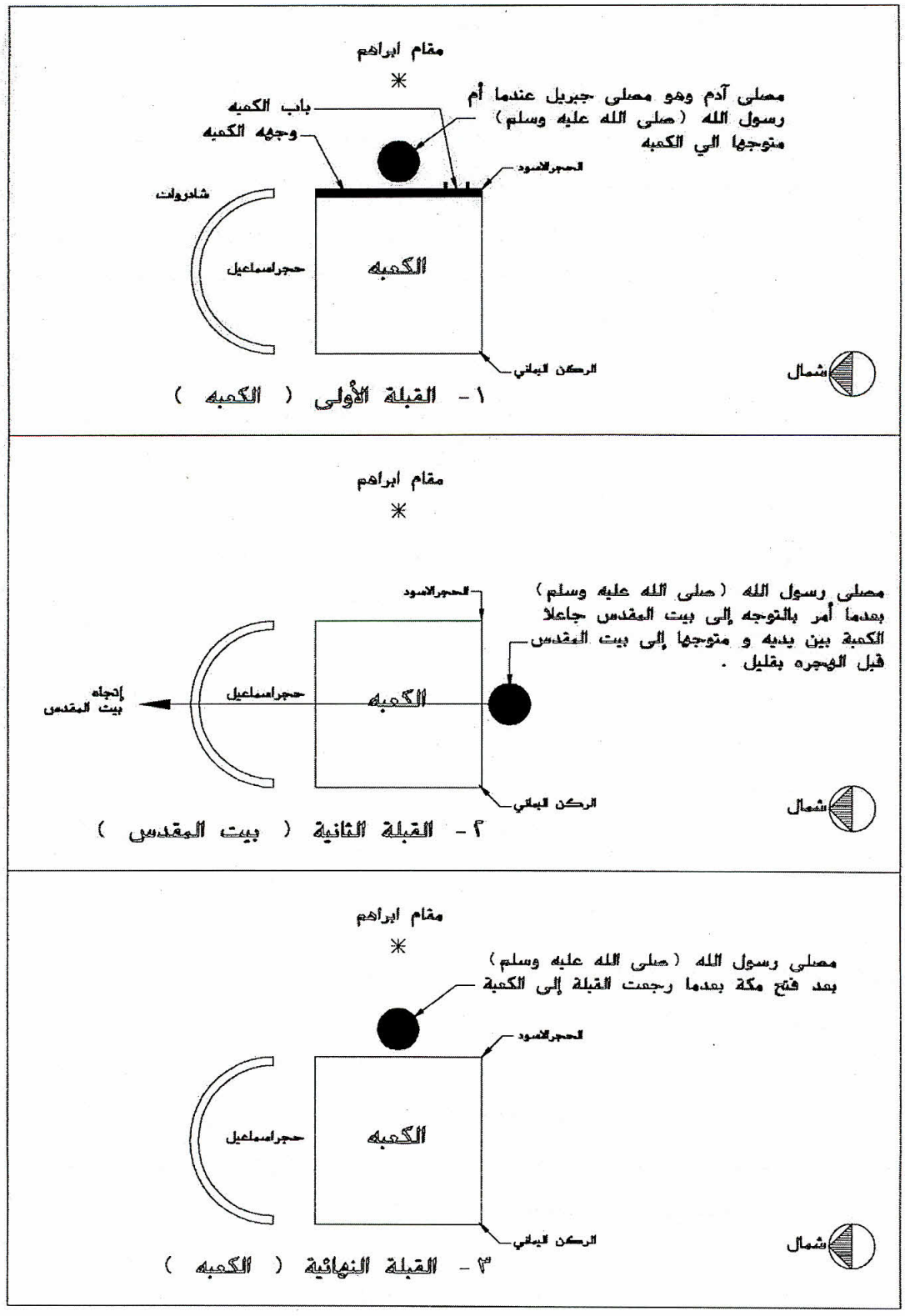
أن للقبلة شأن عظيم في الإسلام فلا تصح الصلاة لغيرها ولقد اهتدى المسلمون إليها حيث ضل عنها أهل الكتاب وحاول البحث أن يثبت حقائق:

أولاً : إثبات أن النبي ﷺ كان يصلى إلى الكعبة مخالفاً لاتجاه بيت المقدس جاعلاً وجهه تجاه باب الكعبة المشرفة أي باتجاه الغرب بينما بيت المقدس يكون باتجاه الشمال والروايات تثبت ذلك ويعني ذلك قطعاً انه ﷺ كان يتخذ الكعبة قبلة وهذه الحوادث حصلت قبل وبعد بعثته ﷺ والروايات المتعددة الأخرى عن موحدي الغرب قبل البعثة تدل دلالة واضحة على أن الكعبة هي قبلة السابقين والذين كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام.

والإثبات الآخر الذي يحاول البحث أن يؤكده هو أن أثناء بعثة النبي ﷺ كان أهل الكتاب يتخذوا من الشرق (للنصارى) ومن الغرب (لليهود) قبلة ويؤكد ذلك قول الله عز وجل ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾[١، سورة البقرة، آية١٧٧] وكذلك حديث المباهله عندما صلى نصارى نجران في المدينة المنورة بحضور النبي ﷺ باتجاه الشرق وكذلك قول ابن عباس أن اتخاذ النصارى الشرق قبله لقول الله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾.[١، سورة مريم، آية ١٦] وكذلك آثار الكنائس قديما وحديثاً.

وأخيراً المخطَطات لمدينة القدس من بعد عهد المسيح عليه السلام تبين بصورة قاطعة أن الكنائس لا تتجه إلى بيت المقدس فلا يوجد دليل قطعي يؤكد مقولة من يقول أن بيت المقدس هو أول قبلة في الإسلام، فإذا كان كذلك يتبين لنا قول الرسول ﷺ إننا اهتدينا إلى القبلة الصحيحة حيث ضل عنها اليهود والنصارى.

وختاماً فالمقولة أن بيت المقدس أولى القبلتين تطعن في عصمة النبي ﷺ وانه كان يتبع قبلة الضالين والحديث يقول انهم ضلوا فكيف يترك الرسول ﷺ قبلة أبيه إبراهيم إلى ما ضل فيه أهل الكتاب واتخاذهم الشرق والغرب قبلة فالقول أن رسول الله ﷺ كان يتبع الضالين في قبلتهم محال إلا إذا كان الرسول مأموراً بالتوجه لبيت المقدس وهذا ما يثبته البحث وما أشار إليه القرآن والأحاديث والآثار الباقية إلى يومنا هذا وانه ﷺ كان على قبلة إبراهيم عليه السلام ثم أوحى إليه الله بالتحول إلى بيت المقدس ثم أمره الله عز وجل أخيراً بالرجوع إلى القبلة الأولى وهى الكعبة (قبلة أبينا إبراهيم عليه السلام) (شكل ٢٤). وإذا ثبت ذلك فأهل الكتاب قد ضلوا في معرفة القبلة ،كذلك يثبت البحث بالأدلة القاطعة عدم وجود قبلة غير الكعبة يطاف حولها ولا يوجد ذلك عند أي من الأمم السابقة ولقد كان أهل الكتاب يتجهون شرقاً وغرباً وهم لا يزالون على ضلالهم وعنادهم ولقد قل هذا الالتزام في زمننا هذا بالتوجه إلى المشرق للنصارى أو اليهود للغرب على عكس المسلمين الذين تجدهم يحرصون على توجيه المساجد إلى القبلة مستخدمين أدق الآلات المساحية ولحرص المسلمين على معرفة اتجاه الكعبة (القبلة) ساهموا بطريقة غير مباشرة في تطوير علم المساحة ، وصلى الله على سيدنا رسول الله وعلى أله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.



شكل٢٤ : يشرح الشكل مراحل التغييرات التي طرأت على قبلة المسلمين.

المراجع

[١] *مصحف المدينة المنورة*. مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

[٢] العزامي، خليل إبراهيم. *عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه*. جده: مطابع سحر، ١٤٠٥هـ.

[٣] بدوى، عبد الرحمن. *دفاع عن القرآن ضد منتقدية*. ، القاهرة : دار الجليل للكتب والنشر, ١٩٩٧.

[٤] الجوزي، عبد الرحمن ابن علي. *فضائل القدس*. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م.

[٥] *صحيح مسلم بشرح النووي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

[٦] *مسند الأمام احمد بن حنبل*. بيروت: دار صادر.

[٧] القرطبي, محمد بن احمد. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

[٨] السمهودي، نور الدين علي. *وفاء الوفاء*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ.

[٩] البرسوي, إسماعيل حقي. *روح البيان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

[١٠] خضر, عبد العليم عبد الرحمن. *التطور العمراني لمدينة القدس*. الرياض: مطابع سحر، ١٤٠١هـ.

[١١] الصالحي, محمد بن يوسف. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.

[١٢] ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار لسان العرب.

[١٣] الأزرقي, محمد بن عبد الله. *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*. بيروت: دار الأندلس، ١٣٨٥هـ, وكذلك مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤١٦هـ.

[١٤] مؤلف مجهول. *كتاب في أحوال الحرمين*. مكة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٨هـ.

[١٥] البيئة، مخططون ومعماريون ومهندسون (الحصيني والشعيبي). *المخطط الشامل لمنطقة المشاعر المقدسة*. الرياض: ١٤١٧هـ.

[١٦] الخوارزمي, محمد بن إسحاق. *إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق*. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـ.

[١٧] النهراوي, محمد بن احمد. *كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام*. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ.

[١٨] الفاسي, محمد بن احمد. *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٧هـ.

[١٩] *صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٤٠١هـ.

[٢٠] الشافعي, محمد بن أدريس. *الأم*. بيروت: دار المعرفة, ١٣٩٣هـ.

[٢١] الفاسي, محمد بن احمد. *الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة*. مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٨هـ.

[٢٢] العجيلي، سلمان بن عمر. *الفتوحات الأحمدية*. القاهرة: مطبعة ومكتبة عباس بن شقرون.

[٢٣] البنا ،احمد عبد الرحمن. *الفتح الرباني*، القاهرة: دار الشهاب.

[٢٤] الطبري، احمد بن عبد الله. *القرى لقاصد أم القرى*. دار الفكر ١٤٠٣هـ

[٢٥] إنجيل برنابا. دبي: دار القلم، ١٤٠٣هـ.

[٢٦] Fletcher, B. *A History of Architecture*. England: Butterworth, 1987.

[٢٧] الصابوني. *مختصر ابن كثير*.

[٢٨] الحافظ أبن كثير. *البداية والنهاية*. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٠٧هـ.

[٢٩] *The New Junior World Encyclopedia*. London: Macdonald & Co. Ltd., 1979.

[٣٠] راشد، سيد فرج. *القدس عربية إسلامية*. الرياض: دار المريخ للنشر, ١٤٠٦هـ.

[٣١] Bahat, Dan. *Carta's Historical Atlas Of Jerusalem*, , Jerusalem: Carta, 1976.

[٣٢] *كتب العهد القديم والعهد الجديد*. جمعيات الكتاب المقدس المتحدة, ١٩٦٦م.

[٣٣] *الانجيل*. النسخة اليونانية، مترجم للعربي.

[٣٤] قطب, سيد. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ.

[٣٥] ابن كثير, إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. لاهور: سهيل أكاديمي، ١٣٩٢هـ.

[٣٦] Prochazka, Amjad B. *Mosques*. MARP, 1986.

[٣٧] الأمام مالك بن انس. *الموطأ*.

[٣٨] الالوسي, محمود. *روح المعاني*. دار الفكر.

[٣٩] السيوطي, جلال الدين. *لباب النقول في أسباب النـــزول*. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤هـ.

[٤٠] عليوي, ابن خليفة. *جامع النقول في أسباب النـــزول*، الرياض: مطابع الإشعاع، ١٤٠٤هـ.

[٤١] الواحدي, أبي الحسن علي. *أسباب نزول القرآن*. جدة: دار القبلة، ١٤٠٤هـ.

[٤٢] الواحدي, على بن احمد. *أسباب النـــزول*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.

[٤٣] الطبري، على بن عبد القادر. *الأرج المكي في التاريخ المكي*. مكة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ.

[٤٤] الإسكنداري، إسماعيل بن عبد الله. *ترغيب أهل المودة والوفاء في سكنى دار الحبيب المصطفى*. المدينة المنورة:مكتبة الثقافة.

[٤٥] ابن تيمية, احمد بن عبد الحليم. *زيارة بيت المقدس*. مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٨هـ.

[٤٦] دروزة، محمد عزة. *تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم*. بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٨٩هـ.

[٤٧] الخولي، محمد علي. *التحريف في التوراة*. الرياض: مطبعة النرجس، ١٤١٠هـ.

[٤٨] المسعودي، محمد بن ردير. *الكعبة المشرفة : آدابها وأحكامها*، المدينة المنورة: مطابع الرشيد.

[٤٩] Solomon, Roby. *The New Caxton Encyclopedia*. London: Caxton Publication Limited, 1979.

The Affirmation of the Ka'ba as the first Qibla

Farhat Khourshed Al-Tashkandi

Department of Architecture and Building Sciences
College of Architecture & Planning, King Saud University
Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract: This research investigates all possible signs that the Ka'ba is the ancient Qibla in history. Hence the author argues that the Qibla has been changed twice, by Gods order. First from Makkah to Jerusalem (before the emigration of the prophet Muhammad PBUH to Madinah), second, from Jerusalem to Makkah during the second year in Madinah. The paper shows that there is no Qibla for the Jews except facing toward west in general and the Christians face east, although both claim that Jerusalem is their Qibla, but the author proves that this claim is baseless.

The research contains the following sections: Abstract, Introduction, Methodology, Definition of Qibla, Muslims Qibla; Building the Ka'ba, The First Qibla (the Ka'ba); Makkah the unique city; Locale of the pray, Heathen's Qibla, Jew's and Christian's Qibla; Orientation of Qibla in Jews and Christian believes; Temporary detour of the Qibla from Makkah to Jerusalem; Building the Farthest Mosque (Masjid-ul-Aqsa); Mosque of Umar, The Final Qibla: Back again to the Ka'ba, Summary. The research supported by existing and archeological plans of many religious building.

(Qibla = the direction to which Muslim turn their faces in prayer).